ساعدت جامعة بغداد على نشره

اضطراب الكلم

عند الزهاوي

بقلم

ابراهيم الوائلي

الاستاذ المساعد في كلية الآداب

بجامعة بغداد

١٣٩٠ هـ ــ ١٩٧١ م

مطبعة الايمان ــ بغداد

اضطراب الكلم عند الزهاوي

بقلم

ابراهيم الوائلي

الاستاذ المساعد في كلية الاداب
بجامعة بغداد

ساعدت جامعة بغداد على نشره

١٣٩٠هـ — ١٩٧٠م

مطبعة الايمان - بغداد

تقـــديم

قرأت (الكلم المنظوم) لجميل صدقي الزهاوى قبل عشرين سنة خلت وكنت آنذاك في القاهرة ثم قرأت ديوانه الثاني المطبوع في سـنة ١٩٢٤م بالقاهرة فوجدته قد أعاد فيه معظم ما نشـره في الكلم المنظوم ، وخطر لي ـ وأنا أقرأ الديوان الثاني ـ أن أقابل النصوص بعضها ببعض فاذا بي أجد ظاهرة ليست بغريبة في موضوعها بقدر ما هي غريبة في سعتها وتنوعها ، هذه الظاهرة هي تبديل الكثير من المفردات والعبارات وبعض الأشطر بتمامها فأدركت من خلال هذه التجربة أن رغبة قد دفعتني الى أن أتابع كل ما اثبته الزهاوي في الديوان من قصائد الكلم المنظوم وان أسجل كل مفردة او عبارة تناولها التغيير والتبديل وكل شطر تحول من شكله القـديم الى شكل آخر ومضيت اكتب ذلك في حواشي الكلم المنظوم وبين سطوره واشير الى مكان القصيدة او المقطوعة في الديوان . ثم تناولت بعد ذلك دواوينه الاخرى فلم اجد فيها ما يفيدني في هذا الصنيع سوى ديوانه الثالث (اللباب) وكان قد طبعه في بغداد سنة ١٩٢٨م ففي هذا الديوان مختارات قليلة من الكلم المنظوم وهي على قلتها لم تخل من ظاهرة التغيير والتبديل فكان أن أشرت في حواشي الكلم المنظوم وبين سطوره الى ما جد في اللباب من تغيير يخالف سابقيه او ماجاء موافقاً للديوان او ما كان من عودة الى ما في الكلم المنظوم، وتصفحت جهدي بعد ذلك فاذا بنسخة الكلم قد اكتضت صفحاتها بألوان مختلفة من الحبر او قلم الرصاص كأنها مخطوطة ليس فيها عناية او تنسيق ؟

وعدت من القاهرة في سنة ١٩٥١م والنسخة معي وقد دفعني الجهد الذي بذلته فيها الى الحرص عليها مع تفكك اوراقها وتمزق الكثير من حواشيها وبقيت بين كتبي عدة سنين حتى اتيح لها ان تخرج من مكانها لتكون اساساً لدراسة هذه الظاهرة التي لم يتناولها في كثير او قليل من كتبوا في سيرة الزهاوي وادبه وشعره :

واذا كان الكشف عن هذه الظاهرة عملا جديداً في ابسط ما يوصف به فان تناولها بالبحث والدراسة وبكل ما تحتمل من تعليل وتفسير هو الآخر عمل لا يقل شأنا عن سابقه ان لم يكن اوسع منه بكثير ، ذلك اني لم اقتصر في هذه الدراسة على الكشف عن تلك الظاهرة وبيان مواطنها بل تناولت فيما تناولت عللها واسبابها من لغة ونحو وصرف وعروض واساليب بيانية وما تحتمله نفسية الشاعر احياناً او تقتضيه ظروفه السياسية والاجتماعية. وسلكت في كثير من النصوص مسلك الناقد في بعض ما يعنيه النقد الأدبي من تحليل النص وتفسيره لادراك الغاية من التغيير الذي حدث فيه :

واستعنت بما تحتمله هذه الدراسة من البحوث والدراسات النفسية التي يمكن ان تكون عاملا من عوامل الاختبار والتجربة في دراسة الشعر وان لم تكن هذه البحوث والدراسات قد انتهت الى نتيجة يقينية تجعل من علم النفس – او علم النفس الأدبي في الأقل – ميزاناً حاسماً يفصل في قضايا الشعر او مقياساً تقاس به ابعاده من غير خلل او انحراف :

وكنت في كل ما استعرضت من نصوص على سمت الواثق من سلامة الحكم وصدق الرأي حين أؤيد او ارجح وحين انقد او افند فأنا مع الشاعر اذ يكون التغيير سليماً مقبولا يشفع له سبب او اكثر من سبب وانا مخالفه حين لا اجد في التغيير ما يسوغه او يشفع له ، فاذا تساوى القديم والجديد في النص تجاوزته الى غيره دون تأييد او تفنيد اذ لا تفاضل بين الشكلين :

وقد مضيت في هذه الدراسة من حيث التسلسل وفق ترتيب القصائد فى الكلم المنظوم عارضاً نصوصها على ما جاء منها في (ديوان الزهاوي) وما جاء منها فى اللباب ومهدت لكل قصيدة او مقطوعة ـ بعد ذكر عنوانها ـ بمقدمة او شبه مقدمة تشير الى تاريخ نظمها اذا وجد وتبين مناسبتها وموضوعها وقد تعرف شكلها الذي بنيت فيه واداءها الذي نسجت منه ومقدار ما تحمل من الصور والمعاني والأخيلة على اني قد نفذت الى هذه الدراسة من مدخل عرفت فيه مدرسة الزهاوي وعصره اللغوي وما قاله فيه بعض النقاد والكتاب ومقدار حصيلته من اللغة وروافد الشعر ووازنت بينه وبين بعض معاصريه في هذه الظاهرة ، ولم أنس أن أشير الى هذه الظاهرة في الشعر العربي وموقف الشعراء منها وما فسرها به بعض النقاد الاوربيين .

فاذا كنت قد أضفت في هذه الدراسة لوناً جديداً الى البحوث والدراسات اللغوية والأدبية فذلك من بواعث الغبطة في نفسي والا فحسبي اني كشفت عن هذه الظاهرة في شعر الزهاوي وأتيت على ما اشتملت عليه من أمثلة وما تخللت فيه من مواضع .

فعسى ان تضاف هذه الدراسة الى ما كتب عن الزهاوي فى حياته وأدبه وشعره وعسى أن يشفع لها فى أن تأخذ مكانها من بين الدراسات والبحوث ما فيها من منحى جديد يمكن أن يكون بداية لدراسة الشعراء الذين سلكوا سبيل الزهاوي فى هذه الظاهرة .

ابراهيم حرج الوائلي

مدخل الدراسة

مدرسة الزهاوي . لغته . آراء بعض النقاد فيه .
دفاعه عن اللغة العربية . أمثلة من أخطائه .
زمن التغيير وموقف الزهاوي منه . الزهاوي ومعاصروه .
اسباب التغيير وموقف الزهاوي منها .

أدرك الزهاوي بقايا مدرسة القرن التاسع عشر التى لم تكن في بنائها ومادتها الا ركيزة من ركائز القرون الوسطى بما احتوته من أخلاط يتساوق فيها الغث مع الجيد ، ويغلب فيها التقليد على الأصالة ولكنه تقليد العاجز الذي لا يقوى على متابعة السير ، فما كان فى قماطر تلك المدرسة من كتب الأقدمين سوى القليل من مخطوطات ليس من السهل أن يجدها كل طالب ومتتبع ، ومن فتات تلك القماطر كان متعاطو الأدب والشعر يتبلغون دون شبع فيجترون ما مضغوا من غير هضم ولا استساغة لأن المسافة بينهم وبين اللغة العربية فى أصالتها وقوتها كانت بعيدة، ولأنهم في سيرهم لم يكونوا إلا بقايا قافلة تضلع في المنعطفات والوديان فلم يكن في العشرات من أولئك الشعراء من تسمو لغته في صفائها ونقاوتها وفي نحوها وصرفها إلى الجيل المتأخر من العصر العباسي بله العصور السابقة. على أن القليل منهم من يستطيع أن يشمخ بأنفه في ذلك الأفق المعتم بعجمة الحاكمين وعامية المحكومين غير أن ذلك القليل الشامخ ما كان ليجد الطريق لا حبا أمامه في كل خطوة يخطوها، وقد أشرت في بحث تناولت فيه لغة الشعر العراقي في القرن التاسع عشر الى

بعض ما تعثر به أولئك الشعراء في لغتهم ونحوهم وصرفهم كالعمري والشيخ صالح التميمي والأخرس والسيد جعفر الحلي وغيرهم من شعراء تلك المدرسة(١) ، وربما كان لنا أن نظن بهم أنهم اعتمدوا في لغتهم على بعض اللهجات القديمة او كانوا يتكئون على شاعر قديم جنح الى الضرورة حين ننظر الى ما كانوا يقرؤنه من كتب النحو التي ملئت بالشواذ والضرورات، وعلى فرض سلامة الظن ما كان ينبغي لنا أن نعد ذلك عذرا لهم بعد ان رأينا النقاد القدماء قد عابوا على اولئك الشعراء ما استجازوه في شعرهم من مخالفة اللغة والنحو والصرف(٢) . فليس من الشعر في اداته وبنائه ان تكون لغته امشاجا من لهجات ضعيفة او يكون نحوه مقيسا على شواهد انتهى اثرها في العصر العباسي ولم يبق لها من مكان سوى كتب اللغة والنحو .

وعلى أطلال تلك المدرسة وضع الزهاوي لبناته الاولى فى بناء كيانه الأدبي فأخذ ينظم دون استكمال أداة وينشر ويذيع ما ينظم دون غربلة وتنقيح واذا حدث له ذلك فما كان يجد في رصيده اللغوي غير ما ادخر من مفردات لا يسمو بعضها على بعض فقد كانت اللغات التى تصب مفرداتها فى أذنه - وهو صغير - حاجزاً يقف دونه في الاطلاع على اللغة العربية وأساليبها اطلاعاً كافياً . كانت اللغة الكردية لغة أبيه وجده والتركية لغة الدولة الرسمية - وأبوه مفتي بغداد - والفارسية لغة جدته لابيه ، وهذه اللغات كان على الزهاوي أن يرث منها ما يرث وأن يتعلم منها ما يتعلم وقد تحقق له ذلك فى

---

(١) انظر لغة الشعر العراقي في القرن التاسع عشر - لكاتب البحث - ص ١٠-٢٤ مطبعة الارشاد - ١٩٦٤م بغداد .

(٢) راجع : الوساطة بين المتنبي وخصومه - للقاضي الجرجاني ص ٤-١٤ ط ١ دار إحياء الكتب العربية ١٩٤٥م القاهرة .

صباه ومن ثم كان تعلمه اللغة العربية - التي كان يعرفها أبوه - عملا غير سهل بين تلك اللغات على أنه قد بذل جهداً غير قليل في تلقيها على أبيه وغير أبيه ولكنه لم يصل منها الى القدر الذي يؤهله لنظم الشعر على أسس متينة، وربما فسر لنا ازدحام اللغات على لسانه وفي ذهنه جانباً من جوانب الضعف في شعره فان تعلم لغات عدة قد يكون سبباً في اضطراب التعبير وقلق المفردات وقد يجعل الاستقلال في الأداء عملا غير ميسور ولهذا كان الزهاوي يستعين بدواوين الشعراء حين يزاول النظم فينطرح على حصير « وحوله عشرات الدواوين مفتوحة مؤشراً فيها على قصائد من وزن القصيدة التي ينظمها وقافيتها وربما كان الموضوع قريباً ايضاً من الموضوع الذي هو فيه . »(٣) على أن هذه الاستعانة المؤقتة ليست من مقومات الشعر إلا في القليل مما يحتاجه من قافية أو مفردة وإلا كان الأخذ مسخاً وتشويهاً ، ولعلنا نلاحظ أثر هذه الاستعانة في قصائد الرثاء والوصف التي سنمر بها في صفحات « الكلم المنظوم » وهو اثر لا ينهض بالزهاوي ليجعله اكثر من مقلد مضطرب ، وفيما سوى ذلك ركة وابتذال .

وكانت السرعة التي تملي على الزهاوي عاملا من العوامل المهمة في ضعف بداياته من حيث المادة اللغوية بل في ضعف ماجد بعد تلك البدايات لذلك لم يسلم من نقد معاصريه فقد قال فيه الشاعر معروف الرصافي :

« ... لم أتأثر بشعر الزهاوي مطلقاً لأني لم اكن ارتضيه وكنت ارى في

---

(٣) انظر : «ذكريات مع الزهاوي» للأستاذ كمال ابراهيم - مجلة (الأديب العراقي) العدد الثالث من السنة الأولى مايس وحزيران ١٩٦١ ، وكان الاستاذ كمال - كما يروي - قد رآه أكثر من مرة وهو يستعمل هذه الطريقة حين يزاول النظم .

شعره بعض الأغلاط النحوية واللغوية وكنت انبهه الى ذلك .. »(٤)

ونقده آخرون غير الرصافي وفي نقدهم ما يتصل بلغته ايضاً (٥) .

ولعل ظاهرة السرعة عند الزهاوي كانت نموذجاً من المآخذ التي تناولها نقاده فقد قال فيها الاستاذ عباس محمود العقاد :

« والسرعة الى التفكير مع السرعة الى العدول عن الفكرة في وقت واحدهما آفة العجلة في مواجهة الزهاوي لمسائل العلم والأدب . او مسائل الاجتماع والاخلاق فليس اسرع منه الى اختطاف الرأي الشائع إختطاف الرد عليه . ونحسب ان بنية الرجل مسئولة - كما يقولون - عن هذا الولع بالسرعة والقلق . . فهو في وثباته المتلاحقة على مكان واحد يصعد منه وينزل إليه ويثبت عليه صاعداً ونازلا ومتردداً ومستقراً وهكذا كان في آخر ديوان كما كان في اول ديوان . »(٦) ونحسب ان العقاد كان شديد الوطأة في نقده هذا فما كان الزهاوي في آخر ديوان كما كان في اول ديوان . غير ان الذى يعنينا ما وصفه به من السرعة فاذا كان الزهاوي قد عرف بسرعة التفكير وسرعة العدول عن الفكرة فليس بغريب ان يسرع في عملية الانشاء والبناء فتأتي الصورة عنده مهزوزة مضطربة ثم يحاول إصلاحها فيعدل عن بعض

---

(٤) أحاديث الرصافي - الورقة ٩ من نسختي المخطوطة نقلا مباشراً عن مخطوطة المرحوم كامل الجادرجي وكان الرصافي قد أملاها عليه .

(٥) انظر جريدة (العراق) العدد ١٩٤٣ - ١٧ أيلول ١٩٢٦م . ولغة الشعر بين جيلين للدكتور ابراهيم السامرائي ص ٤٧ - ٤٨ - مطبعة دار الثقافة - بيروت . من دون تأريخ

(٦) مجلة المكتبة - العدد ٣٥ و ٣٦ السنة الرابعة ١٩٦٣م بغداد

المفردات والصيغ التي اسهمت في تلك العملية ليضع مكانها مفردات وصيغاً اخرى قد تكون مماثلة لتلك إن لم تكن دونها وليس للتفوق من سبيل إلا في القليل منها ذلك ان الزهاوي لم يعن بالإطار والألوان فلم تسلم موسيقاه في اغلب ما نظم من تمرد على الذوق ونشوز من الايقاع المنسجم ، وقد لاحظ الاستاذ احمد حسن الزيات هذه السمة في شعر الزهاوى فقال :-

« ... والزهاوى شاعر من شعراء الفكرة له البصيرة النافذة والفطنة الناقدة وليس له الأذن التي تموسق ولا القريحة التي تصنع ، فاللفظ قد لا يختار ، والوزن قد لا يتسق ، والاسلوب قد لا ينسجم . ولكن الفكرة الحية الجريئة تعج بين الأبواب المتخاذلة عجيج الأمواج المزبدة بين الشواطيء المنهارة(٧) » :

ان موسقة الشعر عنصر مهم فاذا فقدت أو ضعفت لم يكن للشعر ذلك التأثير المنتظر في النفوس ومن ثم تكون الاستجابة ضعيفة أو مفقودة :

وقد اهتم الكثير من النقاد والشعراء بهذا العنصر الذي يسهم بأوفر نصيب فى تكوين الأثر الأدبي فقد قال شوبان Chopin :

« ... أحس أني أنفعل لكل ما يقع في عالمنا هذا ، الناس والسياسة والأدب فإن ذلك يجد منفذاً إلى الخارج في صورة موسيقية ، كل ما أراه فى هذه الحقبة بارزاً يجب أن أعبر عنه تعبيراً موسيقياً(٨) » :

---

(٧) وحي الرسالة ١/٣٦٣ ط ٦ - ١٩٥٧م مكتبة نهضة مصر بالفجالة - القاهرة :

(٨) الاسس النفسية للابداع الفنى - للدكتور مصطفى سويف ص ١٧١ ط ٢ دار المعارف بمصر ١٩٥٩م

فهل كان للزهاوي نصيب من موسقة الشعر ؟ اننا نستطيع أن نقول :
إن الزهاوي لم يكن ذلك الشاعر الذي طاوعته الموهبة الخلاقه على التزاوج والانسجام أو أحكم الصلة بين الإطار والمضمون فقد وقف على ربوته القريبة يهم ولا يحلق . ويضع الفكرة في قوالب غير متماسكة . وهذا يعني إحدى اثنتين : إما أن يكون قد رأى الاهتمام باللفظ ضرباً من الترف والتزويق ، أو أن حصيلته اللغوية وقدرته على الصياغة لم ترتفعا به إلى أكثر مما وصل إليه في العمل والبناء ، والثانية في رأينا أرجح لما اسلفنا من العلل والاسباب في حين أنه كان « لا يرى احدا يفضله فى صناعة القريض واذا ارتأى الناس احداً يدانيه او يوازيه كان خصمه ... وعلى هذا نظر إلى الرصافى كما ينظر إلى خصم مناوي»(٩) » .

وفي حين انه كان يدعو إلى المحافظة على الجزالة العربية والاسلوب والشعور العربيين(١٠) .

وكان يقول :

« لا يسوغ للشاعر العربي مخالفة قواعد اللغة العربية فإن الاعراب دليل المعاني(١١) » .

ويقول ايضاً :

« ... الفينا العربية في العراق لا تستغني في حالها الحاضر عمن يقوّم اودها

---

(٩) مجلة : الأديب العراقي ـ المصدر السابق

(١٠) سحر الشعر ـ للاستاذ روفائيل بطى ص ٥٧ من مقال للزهاوي ـ المطبعة الرحمانية بمصر ١٩٢٢م

(١١) مقدمة ديوان الزهاوي ص (ج) المطبعة العربية بمصر ١٩٢٤م

بالتنبيه على ما يقع من الخطــأ فى كثير من القصيد والمقالات مما ينشــر فى صحفه(١٢) » . ثم يقول :

« ... والشاعر لا يكون شاعراً إلا إذا توفرت فيه(١٣) شروط ثلاثة :

الأول ان يكون له استعداد ذاتي للشعر ، والثاني ان تغزر مادته في اللغة والعلم ، والثالث ان يكون مارسه طويلا ، والسبب في ان اكثر الشباب تعوزه صحة التعبير وسلامة اللفظ هو كونه غير متوسع في اللغة او قليل الممارسة للشعر (١٤) » ،

فغزارة المادة في رأي الزهاوي - كما هي في راي كثير من النقاد - شرط من شروط الشاعرية ، ومما لا شك فيه انه لا يعني بغزارة المــادة اللغوية إستيعاب المفردات التى تحتاج إلى شرح وتفسير وانما يعني سلامة اللغة من الابتذال والركة ومن مخالفة القواعد المعروفة ، ولكن الزهاوي في بواكيره وما بعدها - لم يتوفر عليه هذا الشرط فلم تســلم لغته من الضعف والابتذال ولعل ديوانه الأول (الكلم المنظوم) ابرز مثل لهذه الظاهرة التي تدل على قلة الاستيعاب والحفظ ورواية الشعر الجيد .

واذا كان قد اوصى بالمحافظة على اللغــة وقواعدها فانه قد وقــع في مثل ما نهى عنه ولم يحدث ذلك منه في موضع او موضعين بل تمثل في كثير من المواطن ومنها قوله :

---

(١٢) مجلة (الاصابة) للزهاوي - العدد الأول - ١٠ ايلول ١٩٢٤م بغداد

(١٣) الصحيح (عليه) بدل : فيه ؛

(١٤) مقدمة (الأوشال) ص (ز) مطبعة بغداد ١٩٣٤م بغداد ؛

هل من يدري إلا ظنا ماذا سيجيء بهغده(١٥)

والعرب لا يستعملون (سين) الاستقبال أو (سوف) بعد الاستفهام لما فيهما من الخلط بن السؤال عن حصول شيء لم يقع وبين توكيد حصوله. وقد جاء هذا من تأثير لغة الصحافة والترجمة عن اللغــات الأجنبيـة وهو استعمال لاتقره أساليب اللغةالعربية .وقد وقع له مثل هذا التركيب فيمواضع أخرى من شعره . وكان يلجأ الى الضرورات فيفسد التركيب ويخل بالمعنى كما فى قوله :

لكل هوى فى الشرق حزب مؤيد
سوى ان فيه الحق ليس بذي حزب(١٦)

ففصل بين ان ومعموليها بالجار والمجرور وهذا الصنيع لا يقـره النحاة وليس من الاساليب المعروفة ولا من النوع الذي أجازه سيبويه (١٧) وخالفه فيه معظم النحاة فقد أجاز الفصل بمعمول الخبر وليس هذا منه . وفى مكان آخر رفع اسم (إن) لضرورة غير مقبولة كما في قوله من قصيدته (النائحة) وهي مضمومة الروي :

---

(١٥) ديوان الزهاوي ص ٣٧ .

(١٦) المصدر نفسه ص ٣٣٥

(١٧) انظر (الكتاب) لسيبويه ١/٢٨٠ نسخة (الاوفسيت) على الطبعة الاولى - بولاق ١٣١٦ هـ

أتعلم أن الروض صوّح زهره
وأن به ـ بعد الرواء ـ ذبول(١٨)

ولم يكن الزهاوي في منجى من الصناعة اللفظيـة فقد وجدناه يركن في بعض منظوماته القديمةالى الالوان البديعية من طباق وجناس وتورية وغيرها كقوله :ـ

وغادة قلبي يهواهـــا
باعـــث محيـاى محياهـا
تدير بالكأس الحميا وقد
حكى محياها حمياها(١٩)

وكقوله في مدح الوالي عاصم(٢٠) :ـ

وكيف أخاف الدهر أو ارهب الردى
وقد لذت من صرف الزمان بعاصم(٢١)

---

(١٨) الادب العصـري ـ لروفائيل بطـي ١/٢٥ المطبعـة السلفية ١٩٢٣ م القاهرة .

(١٩) الكلم المنظوم ص١ المطبعة الاهلية ١٣٢٧ ه بيروت .

(٢٠) ولى بغداد سنة ١٨٨٧ م وفارقها في اواخر سنة ١٨٨٩ م وتوفى سنة ١٨٩١ م .

(٢١) الكلم المنظوم ـ ص ١

وقوله :

أبغداد أنت الموطن الاول الذي
به طاب في عهد الصبا لي صباهات(٢٢)

زمن التغيير عند الشعراء وموقف الزهاوي منه :

إن ظاهرة التغيير والتبديل في بعض المفردات قد أخذبها كثير من الشعراء إن لم نقل معظمهم ذلك أن الشعر من اهم وسائل التعبير عن خلجات النفس فلا بد فيه من عملية التخير والانتقاء والتنقيح اذ لا يمكن لأي شاعر أن ينظم قصيدة أو مقطوعةدون ان يبدل مفردة او يغير عبارة بل دون ان يبدل شطراً او بيتاً برمته حين لا يعجبه ذلك الشطر او البيت . وقد ضرب النقاد القدماء حوليات زهير مثلاً للتهذيب والتنقيح ، كما مارس الشعراء انفسهم وصف الشعر وطريقة نظمه وما كانوا يبذلونه من عناء في تنقيته وتقويمه فقد قال عدى بن الرقاع وهو شاعر معاصر لجرير والفرزدق :

وقصيدة قدبت أجمع بينها
حتى اقوّم ميلها وسنادها
نظر المثقف في كعوب قناته
حتى يقيم ثقافه منآدها(٢٣)

---

(٢٢) المصدر نفسه ص ١٨ .

(٢٣) انظر : ـ دلائل الاعجاز ـ لعبد القاهر الجرجاني ص ٣٣٢ ط ٢ المطبعة العربية بالقاهرة .

ومثل عدي شعراء كثيرون تناولوا هذه الفكرة في مختلف العصور ومنهم الزهاوي نفسه قد قال :-

أرى اللفظ للمعنى من اللغــو حافـظاً
فان لم يصح اللفظ لم يحصل الحفظ(٢٤)

ولكن ظاهرة التنقيح والتغيير إنما تحدث فى القصيدة حين نظمها أو بعــده بأيام او اسابيع او اشهر فإذا انتهت هذه العملية خرجت القصيدة لتذاع في الناس . وعملية التنقيح والتبدبل هذه خلال الشهور الاولى من نظم القصـيدة فسرها (ريدلى) : « تداعى المعـاني أو تداعى الصور أو الـــذوق المرهف الذي يحكم بصدق ودقـــة » وهذه العلل فى نظر (ريدلى) ليست يقينية بأية حال . قال هذا وهو يدرس إحدى قصائد (كيتس) التي عاد اليهـا بالنظر والتنقيح بعد بضعة شهور من نظمها(٢٥) .

أما ما يحدث بعد ذلك من تغيير او تبدبل فهو نادر أو قليل واذا حدث فانه لا يعدو أحد ثلاثة : اما انطور في حياة الشاعر الادبية واللغوية فيرى من المناسب ان يغير هذه المفردة أو تلك . وأما لنقد يأخذ به كما حدث لذي الرمة في قوله :

اذا غيــر النـأى المحبين لم يكـد
رسيس الهوى من حب مية يبرح

---

(٢٤) الاوشال ـ المصدر السابق ص ٢٦٨ .

(٢٥) انظر الاسس النفسية للابداع الفني ـ المصدر السابق ـ ص ٩٢ ـ ٩٩.

فقد روى انه لما انشده انكر عليه وقيل له : فقد برح حبها !! فغيره الى قوله : « لم اجد رسيس الهوى ... » وكانت حجة الناقد ان (كاد) بعد النفي تفيد الايجاب ولكن الكوفيين صححوه بزيادة (كاد) بعد النفي(٢٦) وسلم البيت للشاعر كما نظمه قبل النقد . واما لاختلاف الرواية وهو كثير ولا شأن للشاعر فيه ومنه قول المتنبي :-

ومن عرف الأيام معرفتي بها
وبالناس روّى رمحه غير ظالم

فقد رواه ابن حجة الحموي بوضع (سيفه) مكان :- رمحه لما بين المفردتين من قرب في الجنس . وقال المتنبي أيضاً :

ذو العقل يشقى فى النعيم بعقله
وأخو الجهالة فى الشقاوة ينعم

وقد رواه ابن حجة ايضاً هكذا :

ذو العقل يشقى فى النعيم بعقله
وأخو الجهالة فى الشقاء منعم

وهي رواية تخالف المشهور في البيتين(٢٧) وقد يكون لها نصيب من الصحة .

---

(٢٦) انظر :- شرح المفصل - لابن يعيش - ٧/١٢٥ - ١٢٦ ادارة الطباعة المنيرية بالقاهرة .

(٢٧) راجع الرواية المشهورة للبيتين على التوالي في ديوان أبي الطيب المتنبي بشرح=

اما الزهاوى فلم يكتف بالأسلوب المتبع فينقح ويهذب في اثناء النظم بل الذي حدث له اكثر من ذلك فانه كان يغير ويبدل بعد ان تنشـر القصيدة وتذيع في القراء وقد يمر على نشرها اعوام ولا سيما بواكير شعره وما بعد البواكير ايضا .

الزهاوي ومعاصروه :

ان من حق الزهاوي ان يغير او يبدل فى شعره كما فعل غيره من الشعراء ومنهم المعاصرون له امثال الرصافي والشبيبي والشرقي غير ان الذي حدث لهؤلاء المعاصرين لم يكن إلا في مواضع يمكن حصرها في جزء يسير من دراسة أو بحث كقول الرصافي على سبيل المثال :

هو الليل يغريه الأسى فيطول
ويرخى وما غير الهموم سدول

ومن القصيدة نفسها :

متى ينجلي يا قوم بالصبح ليلكم
فتذهب عنكم غفلة وذهـول

هذا نص البيتين في الديوان(٢٨) اما قبل الديوان فهما هكذا :

هو الليل يغري بي الأسى فيطول
ويرخى وما غير الهموم سـدول

= أبي البقاء العكبري ٤/١١٢ و ٤/١٢٤ . ط ٢ مطبعة عيسى البابي الحلبي ١٩٥٦م القاهرة ، والرواية التالية في (خزانة الادب) لابن حجة الحموي ص١٠٦ مطبعة بولاق ١٢٩١ هـ القاهرة .

(٢٨) ديوان الرصافي ص٣٧١ ـ ٣٧٣ مطبعة دار المعرض ١٩٣١ م بيروت.

متى ينجلي يا قوم صبح ظـلامكم

وتذهب عنكم غفلـة وذهـول(٢٩)

والذى نراه ان البيت الاول قد حدث فيه تغيير على نحو لا ضير فيه فقد كان الليل يغري الأسى بالشاعر ثم صار الأسى يغري الليل بالطول وهوتحول مناسب للطول الـذي كان غير واضح في البناء القديم . أما البيت الثاني فقد اراد بالتغيير في شطره الأول ان يحافظ على اسلوب امرىء القيس فى قوله :

ألا أيها الليل الطويل الا انجل

بصبح وما الاصباح منك بأمثل

وكان في التركيب الأول قد اسند الانجلاء الى الصبح نفسه .

وكقول الرصافي من قصيدة اخرى :

مستنهضا بالشعر قومى للعـلى

اذ كان فيهم فترة وربوض(٣٠)

فقد كان قبل الديوان :

مستنهضا من ولد يعرب للعـلى

همما تخونهـا ونى وربوض(٣١)

---

(٢٩) جريدة (العرب) العدد ٨ س ١ ـ ٢ ربيع الأول ١٣٢٨ استانبول .

(٣٠) ديوان الرصافي ـ المصدر السابق ص ٤٠١ .

(٣١) الأدب العصري ـ المصدر السابق ـ ٨١/١ .

وكقول الشبيبي على سبيل المثال ايضا :

وما خير رأس لا تبين لناظر
على طرفة من ناظريه المقاصد(٣٢)

فقد كان البيت قبل ذلك :

وما خير رأس لا تبين لنـــاظر
على ناظريه للعيون المقاصد(٣٣)

وما بقي لهذين الشاعرين ليس سوى امثلة قليلة لهذه الظاهرة ، ذلك ان هذين الشاعرين كانا على حصيلة من اللغة وكانا في نجوة من السرعة والاندفاع

اما الزهاوي فقد أسرف في التغيير والتبديل ولم يكتف منهما بالمفردة الواحدة او الاثنتين بل تجاوزهما الى الشطر او اكثر من الشطر ، كما حدث له التغيير اكثر من مرة في المفردة الواحدة فقد تذهب القديمة لتأتي غيرها في مكانها وقد يحدث للجديدة ان تبدل مرة أخرى وقد يعود الى القديمة في مجموعة ثالثة ، وقد يتغير الشطر فيأتي على ثلاثة أشـكال(٣٤) كما حدث في البيت التالي :

---

(٣٢) ديوان الشبيبي ص١٤٣ مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٤٠ - القاهرة .

(٣٣) حلبة الادب - محمد مهدي الجواهري ص ٤٢ مطبعة دار الســلام ١٣٤١ هـ بغداد .

(٣٤) سيأتي بعض النماذج لهذا الصنيع .

يا أمة الشرق انهضي وأفيقي

من طول نوم في الغداة عميق (٣٥)

هكذا جاء البيت في (ديوان الزهاوي) ولكنه كان قبل ذلك كالآتي :

يا أمـة الشرق انشطي وأفيقي

من نوم مكث في الخمول عميق(٣٦)

ثم صار في اللباب هكذا :

يا أمة الشرق انشطى وأفيقى

من رقد ليل في الحيـاة عميق(٣٧)

اسباب التغيير وموقف الزهاوي منها :

هذه الظاهرة في شعر الزهاوي حسبنا ان ندرسها في (الكلم المنظوم) وهو ديوانه الاول وكان قد نشره في سنة ١٣٢٧ هـ ١٩٠٩ م وعمـره اذ ذاك ثمانية واربعون عاماً بالحساب الهجري(٣٨) ، فقد وجدنا معظم قصائد الكلم

---

(٣٥) ديوان الزهاوي ٢٧٨ .

(٣٦) مجلة (المورد الصافي) ج ٢ م ٢ - ١٩١١ م بيروت .

(٣٧) اللباب ص ٢٦ مطبعة الفرات ١٩٢٨ م بغداد

(٣٨) ولد في آخر يوم من سنة ١٢٧٩ هـ ١٨٦٣ م . انظر تاريخ ولادته في : (رباعيات الزهاوي) ص (م) من المقدمة ، مطبعة القاموس العام ١٩٢٤ بيروت .

قد خضعت لهذه الظاهرة ايما خضوع وقد اعاننا على كشف ما حدث في تلك القصائد من التغيير والتبديل ديوانه المطبوع في القاهرة سنة ١٩٢٤ م وعمره احدى وستون سنة بالحساب الميلادي وديوان اللباب الذي طبعه في بغداد سنة ١٩٢٨ م . وقد جاء ديوانه المطبوع في القاهرة حافلاً بمعظم مانشره في الكلم المنظوم كما جاء في اللباب جزء يسير منه .

وغايتنا من دراسة هذه الظاهرة ان تكشف عنها في شعر الزهاوي وان نرسم صورة تامة او مقاربة لقلق المفردة او العبارة على لسانه أو في لفظه الباطني حين يتأمل ويفكر وينظم ، ثم ما يحدثه ذلك القلق من اضطراب هذه المفردة او تلك في مكانها الذي وضعت فيه ايحدث لها التغيير او لتعود مرة اخرى الى موضعها الاول فتستقر فيه كما كانت .

وسننظر أيضا فيما اذا كان الزهاوي قد غير وبدل لسبب من اسباب القوة والضعف في المفردة او العبارة ، او انه رأى حاجة بالمعنى او المناسبة الى هذا التغيير ، والذي نعرفه ان التغيير قد يحدث لقلق المفردة بين أخواتها وعدم تناسبها في سياق التعبير وقد تكون من المفردات السليمة ولكنها وضعت في مكان غير مناسب ، وقد يحدث التغيير لأن المفردة مبتذلة غير منتقاة فهي لا تنهض بشيء مما تفرضه الصورة أو عملية البناء والتركيب ، وقد يكون التغيير بسبب من اسباب السياسة والمجتمع ، وهذه العلل والاسباب تنطبق على الشطر او البيت او المقطع حين يتغير او يتبدل شيء من هذه بمقدار ماتنطبق على المفردة والعبارة .

يضاف الى تلك العلل والاسباب ما للغة من حق وما للنحو والصرف من قواعد ، وما للبيان من اساليب .

فماذا كان موقف الزهاوي من هذه العلل والاسباب مجتمعة او متفرقة ؟ وهل ادرك الغاية من طبيعة الشعر في هذا الاسلوب الذي اتبعه فيما بعد فاختار

للثورة مكان صمت او لانسجام مكان اضطراب وقلق . وهل كان للغة في اصالتها وللنحو في قواعده وللبيان في أساليبه اثر بارز في هذه الظاهرة التي جسدها على اوسع مثال في شعره ؟ وهل كان على حق فيما قال وهو يعلل للتغيير في بعض قصائده :

« اني راعيت في هذا ـ وهو قليل ـ ما فيه اداء المعنى وجمال التصوير والانسجام اللفظي اكثر من السابق ولا ارى ضيراً في ذلك . » (٣٩)

هذا ما تكشف عنه الدراسة الآتية في القصائد التي حدثت فيها هذه الظاهرة .

---

(٣٩) كتب الي بهذا النص الاستاذ كمال ابراهيم ـ الاستاذ في جامعة بغداد ـ وكان الزهاوي قد اهدى اليه نسخة من ديوانه (اللبـــاب) فنبهه الاستاذ كمال الى حدوث بعض التغيير فكان جواب الزهـــاوي كما اسلفناه .

مظاهر التغيير

القصيدة الأولى :

« حتام تغفل » (١) وهي أولى قصائد الزهاوي التي نعرفها في ثورته السياسية وأغلب الظن أنه نظمها فى سنه ١٨٩٨م وعمره خمس وثلاثون سنة ثم أعاد نشرها فى (ديوان الزهاوي) إلا قليلا منها بعد أن غير وبدل فى أربعة وعشرين بيتاً ، وعاد فنشر قسما منها في (اللباب) فغير بعض المفردات التي لم يتناولها التغيير في الديوان(٢) وأعاد مفردة إلى ما كانت عليه في « الكلم المنظوم » وزاد في اللباب بيتاً لم يكن موجوداً في الديوانين السابقين فيكون مجموعها مع الزيادة ثمانية وأربعين بيتاً .

أما الأبيات التى تناولها التغيير والتبديل من هذه القصيدة فهي :

١ - لقد نزعت أم ربيت بحجرها
وانك عنها غافلٌ لست تسأل

(١) انظر الكلام المنظوم ص ٦ - ٩ وديوان الزهاوي ص ٢٨٠ - ٢٨١ واللباب ص ١٢ - ١٣ .

(٢) سنكتفي بكلمة (الديوان) في كل ما يأتي قاصدين بها : (ديوان الزهاوي) كما نكتفي بلفظة (الكلم) احياناً قاصدين بها (الكلم المنظوم) .

وهذا هو البيت الثالث من القصيدة أما في الديوان فقد جاء الشطر الأول منه هكذا :

قد استصرخت أم ربيت بحجرها . . . .

وبين العبارتين القديمة والجديدة فرق فإن الأم التى استعارها للوطن كانت في الأولى تصارع الموت من غير أن تستثير أحداً إلا بما يوحيه سكوتها وهي في تلك الحال : لكنها في العبارة الجديدة تستصرخ من غير أن تكون فى حالة نزع وقد تكون لأن الاستصراخ انما هو تعبير عن حالة فزع أو خوف من هلاك ، ولعل العبارة الأولى ابلغ في التأثير وإن تسرب اليأس في حروفها ثم هي تعبير عما أطلق على الدولة العثمانية في ذلك الوقت من تسميتها بالرجل المريض . أما الثانية فإن استثارتها مباشرة من غير إيحاء .

٢ ـ كأني بالاوطان توقظ فتية
عليهم إذا اشتد البلاء المعول

وفي الديوان تغيير في الشطر الثاني وهو :

كأني بالاوطان توقظ فتية
عليهم اذا ضام الزمان المعول

والذي نلاحظه أن هذا التغيير لم يحدث بناء أقوى من سابقه أو معنى جديداً لا نفهمه من التركيب الأول وكل الذي فعله الشاعر انه هبط من تماسك الى اضطراب وضعف . ولجأ الى التقليد الصريح في استخدام تركيب مبتذل .

٣- تقول أما من مسعدٍ لدياره
يُنقِّذها مما دهاها وينشل

وفي الديوان :

تقول أما من مسعدٍ لبلاده
يناصرها فيما دهاها وينشل

لا بأس بان تحل كلمة (بلاد) مكان ديار في الشطر الأول فإنها انسب من سابقتها في لغة الشعر الحديث . وكذلك عبارة (يناصرها) في الشطر الثاني فإنها - على ركتها - أخف وطأة من عبارة (ينقذها) لان هذا الفعل المضعف غير مشهور شهرة قريبه فى الاشتقاق وهو فعل (انقذ) ولكن الشاعر لم يستعمل هذا الفعل المشهور لما فيه من مخالفة للوزن وادخال الفاء عليه لتصحيح الوزن يخل بحركة القافية لأن الفاء توجب النصب ، وقد يكون الشاعر لاحظ ذلك - إذا أحسنا الظن بلغته ونحوه - لذلك لجأ الى المضعف انسياقاً مع السرعة ثم لاحظ عدم الشهرة فغير ، وليس في التغيير من قوة ، على ان البيت برمته لم نجد فيه من متانة البناء ما يأنف من هذا التغيير الذي صار اليه .

٤- أما من ظهير يعضد الملك عزمه
فقد جعلت أركانه تتزلزلُ

وفى الديوان جاءت كلمة (الحق) بدل الملك ولعل الشاعر أدرك انه قد يتهم بالدفاع عن ملك السلطان وان هذه الكلمة قد توحي بوجود مالك وهو الخليفة العثماني ومملوك وهو الأمة لذلك بدل وغير انسجاماً مع ثورته .

٥ـ أما من طبيب ذي تجارب عارف
يضمد جرحاً كاد للملك يقتل

وفي الديوان :

أما من طبيب ذي تجارب حاذق
يضمد جرحاً دامياً كاد يقتل

تغيير في الشطر الأول لا بأس به ، فالحذق أنسب في وصف الطبيب من المعرفة وحدها لانه براعة ومهارة في المهنة ، أما الشطر الثاني فقد فر ـ في تغيير بعضه ـ مما فر منه في البيت السابق ، فإن كلمة الملك قد تكررت فتركها هنا كما فعل في البيت السابق ولكنه لم يعد كلمة (الحق) مكانها لانه أراد ان يبقى الجرح عاما يشكو منه كل فرد .

٦ـ وإن حصول الامر رهنٌ بفرصة
إذا هي ماتت فهو لا يتحصّل

وفي الديوان :

وإن حصول الشيء رهنٌ بفرصةٍ
إذا هي فاتت فهو لا يتحصل

وإذا كان التغيير الثاني سليما يتناسب مع الفرصة ووصفها بالفوات ، فإن (الشيء) في الشطر الأول لم يأت بجديد اكثر من جعل البيت حكمة من الحكم المعروفة . ولو انه ابقى البيت كما كان دون تغيير في شطريه لكان أعمق في الايحاء والإثارة .

٧- تؤمل إصلاحاً لما فات نافعاً
الا باطلٌ ما ترتجي وتؤمل

وفي الديوان :

تؤمل إصلاحاً وترجو سعادة . . . الخ

التغيير حسن وفيه شيء من النهوض بالبيت ونقل من الماضي الى المستقبل لان عبارة (لما فات) حشو قلق بين الصفة والموصوف ، حتى تكاد توهم بان الصفة حال من ضمير (فات) وليس الشأن كذلك ، ولأن الماضي الفاسد لا يمكن اصلاحه ، ولعل الشاعر أدرك هذا أو بعضه فغير .

٨- توالت عليها النائبات فكلما
ترحّل عنها مشكلٌ حلّ مشكل

وفى الديوان (الحادثات) بدل النائبات . ولا فرق بين المفردتين سوى التضعيف :

٩- تعلل بالآمال نفسك راجياً
نجاحاً لها لو كان يجدي التعلل

وفي الديوان (سلاما) بدل (نجاحا) والجديدة أمكن .

١٠- وما هي إلا دولةٌ همجيةٌ
تسوس بما يقضي هواها وتعملُ !

والبيت في الديوان كما هو في الكلم المنظوم . ولكنه فى (اللباب) قد

أصابه التغيير ، فجاءت كلمة (مستبدة) بدل (همجية) ، وهذا التغيير يدل على حسن اختيار ، فالهمج هم الرعاع الحمقى من الناس وليس هـذا ما توصف به دولة تحكم بارادتها ولها سلطان وحكومـة وقوانين ووزراء وجيش وعلاقات دولية فوصفها بالاستبداد انسب من الهمجيـة وألصق بلغة النقد السياسي :

١١ـ وما فئة الاصلاح إلاّ كبارقٍ
يغرّك بالقطر الذي ليس ينزل

وفي الديوان (يهطل) بدل (ينزل) ويخيل الي ان الشاعر كان يعني ان فئة الأصلاح كالبارق الذي يغر بأن فيه قطراً ولكن ليس فيه شيء من ذلك . واذا صح هذا فالكلمة الأولى أنسب لان الهطل انما يدل على غزارة المطـر وعظم القطر . ومعناه ، ان المطر كان ينزل ولكنه لم يهطـل بقوة وغزارة ، وهذا المعنى لايتناسب مع يأس الشاعر وثورته ، وقد يكون فرار الشاعر من الكلمة الأولى لأنها جاءت قافية بعد سبعة ابيات من هذا البيت .

١٢ـ لهم أثرٌ للجور في كلّ بلدةٍ
يمثّلُ من أفعالهم ما يمثّلُ

وفي الديوان (أطماعهم) بدل (افعالهم) وفي كلتيهما تصوير لآثار الحكام التي بقيت تذكر الناس بافعالهم او بأطماعهم التي هي بعض من أفعالهـم . فليس في الجديدة سوى الصراحة التي لا تظهر في الأولى الا بقرينة الجور .

١٣ـ فمُدّت الى سوريّةٍ يد عسفهم
تحمّلُها من ظلمهم ما تحمـل

وفى الديوان :

فمدت الى سورية يد عسفهم

تحملها ما لم تكن تتحمّل

والتغيير هنا مناسب فالعسف والظلم كلمتان متقاربتان فى مفهوم السياسة واحداهما تغني عن الاخرى لذلك كانت كلمة الظلم أشبه شيء بتكرار المفردة الواحدة تكراراً لا يستدعيه المعنى ولا تقره الصناعة . فكان التغيير أنسب . وربما التفت الشاعر الى انه كرر الشطر الثاني في بيت آخر من هذه القصيدة مستبدلاً كلمة الجور بالظلم ، ففر من هذا التكرار .

١٤ـ وكم نبغت فيها رجال أفاضل

فلما دهاها الخطبُ عنهاتحوّلوا

وفي الديوان (العسف) بدل الخطب ولا بأس بالتغيير وتكرار العسف ما دام الشاعر يتحدث من سوريا فإن هذا العسف هو الذي جعل كثيراً من أفاضلها يهاجرون الى مواطن أخرى .

١٥ـ وبغداد دار العلم قد أصبحت بهم

يهددها داءٌ من الجهل معضل

والبيت في الديوان كما هو فى الكلم المنظوم ، ولكنه فى اللباب جاء كما يلي :

ألا إنما بغداد قد أصبحت بهم

يهدّدها داء من الجهل معضلُ

وليس في التغيير من جديد سوى الفصل المخل ، فقد كان الأنسب ان يبقى البيت كما هو لينسجم الربط بين بغداد وسوريا .

١٦- وسل عنهم القطر اليماني إنه
يبثّ بما يجرى عليه وينزل

وفي الديوان :

وسل عنهم القطر اليماني إنه
يبوح بما يعرو البلاد وينزل

ان هذا التغيير لا يضيف الى البيت قوة في الاداء أو زيادة في المعنى ، ولا يدل على نهوض في لغة الشاعر وتعابيره إن لم يكن العكس ، فقد كان البناء الأول احكم من الثاني لما فيه من ربط أوثق بين الشطرين ولان الذي يبث هو الذي يجري عليه ما يجري ، أما الثاني فركيك البناء لان البلاد والقطر اليماني شيء واحد .

١٧- لقد عبثت بالشعب أطماع حائف
يحملهم من جوره ما يحمّل

وفي الديوان (ظالم) بدل (حائف) ويحمله بدل يحملهم والتغيير الأول حسن لان اسم الفاعل من الحيف قليل الاستعمال الا في اللهجة الدارجة التي شاع فيها تعبيراً عن اللص في الليل .

وكذلك التغيير الثاني ليعود الضمير على مفرد في اللفظ وهو الشعب . وجاء في اللباب : (وقد) بدل : لقد . وهو تغيير ركيك إذ لا مجال للعطف.

١٨- فياويح قوم فوّضوا أمر نفسهم
الى ملك عن فعله ليس يُسأل

وفي اللباب وحده :

فتعساً لقوم فوضوا أمر نفسهم . . . الخ

والدعاء واحدولكن الشاعر انتقل من النداء الى الأمر المقصود به الدعاء بالشر ، والأمر هنا أبلغ من النداء في التعبير عن انفعال الشاعر .

١٩- وذي سلطة لا يرتضى رأي ناصح
اذا قال قولاً فهو لا يتبدّل

وفي الديوان (غيره) بدل ناصح . ومعنى هذا التغيير ان السلطان مستبد لا يستمع الى رأي احد سواء اكان ناصحاً أم غير ناصح .

٢٠- أيأمر ظلُّ الله فى ارضه بما
نهى الله عنه والرسول المبجّل

وفى الديوان :

أيأمر ظلّ الله في أرضه بما
نهى الله عنه والكتاب المنزّلُ

ولنا ان نضع علامـة استفهام على هذا التغيير الـذي ضغط على المعنى وجعله يعتمد على ركيزة واحدة بعد ان كان يعتمد على اثنين فقد كان يفهم بالقرينة ان نهي الله انما جاء في كتابه، وان الرسول انما يبلغ عنه ويؤكد في أحاديثه ، اما التغيير فلامسوغ له في مجال الخلافة التي ترعم او يزعم صاحبها

ان السلطان ظل الله وخليفة رسوله، يضاف الى ذلك ان هذا التغيير لم يحدث سوى تأكيد نهي الله بالكتاب المنزل اذ ليس الكتاب شيئاً آخر . واذا كان هذا جائزاً في الاساليب فان العدول عن (الرسول المبجل) لا يفسر الا بكونه ذبذبة من شك اعتادت الشاعر في فترة متأخرة عن نظم القصيدة ، الا ان يكون قد وجد في كلمة (المبجل) ضعفاً لا يتناسب مع شخصية الرسول الكريم لأنها من الألفاظ التي شاع استعمالها في وصف سائر الناس ، ولا سيما الذين عاصرهم الشاعر ، على اني لا أميل الى هذا التعليل الاخير ، فليس في استعمال هذه الكلمة من بأس .

٢١- تمهّل قليلا لا تغظ أمةً إذا
تحرّك فيها الغيظ لا تتمهّلُ

وفي الديوان (تأجج) بدل تحرك ، ثم عادت هذه المفردة الى مكانها من البيت في (اللباب) كأن التغيير لم يعجب الشاعر : ولكن في اللباب بيتاً آخر قبل هذا البيت لم يكن في (الكلم المنظوم) ولا في الديوان وهو :

فيا ملكاً في ظلمه ظلّ مسرفاً
فلا الأمن موفور ولا هو يعدل

وهذا النداء مناسب للتهديد الذي وجهه الشاعر الى السلطان ، وهو استدراك حسن ولكنه متأخر .

٢٢- إليك فان الظلم مُرد فريقه
وان طريق البغي للخُسر موصِلُ

وفي الديوان تكررت كلمة (الظلم) فى الشطر الثاني بـدل البغي وهو تغيير لا ضرورة له .

٢٣- تقول لقد عمّ الفساد وانني
باصلاحـه فى فرصة اتكفّل

وفى الديوان :

تقول إذا عم الفساد فانني
باصلاحه . . . . الخ

وهذا البيت حكاية عما يقوله السلطان او تعبير عمـا يتخيله الشاعر انه يجري على لسان السلطان ولكن لم حدث التغيير ؟ لعـل الشاعر لاحظ في الصورة الاولى انه جعل السلطان يعترف بوجود الفساد ، في حين انه ـ في واقع الحال ـ او فيا يعتقده المفكرون ـ لا يعترف بذلك ولا يقره ، ولهذا عدل عن الصورة الأ قرارية الى الشرط الدال على حصول الشيء في المستقبل او امكان حصوله وهذا العدول يتناسب مع سيرة السلطان وينسجم مع الوعود التي كان يعد بها في بعض الاحيان ، على ان البيت برمته ليس من الشعر الجيد شأنه شأن معظم أبيات القصيدة .

٢٤- أبعدَ ضياع الملك واذْلْ أهله
تُهيءُ إصلاحاً له وتؤمّلُ ؟ !

وهذا البيت آخر ما جاء فى القصيدة وقد غير منه في الديوان كلمة (ضياع) فجاءت بدلها كلمة (خراب) وهو تغيير حسن يناسب الإصلاح لان الشيء اذا ضاع قد يتعذر الحصول عليه فلا يكون اصلاح لما ليس بموجود ، ولأن

الضباع لا يدل على الخراب الـذي يراد له الاصلاح . وربما تكون كلمة (ضباع) ابلغ فى التعبير عما اصاب الدولة من الانهيار والدمار اولا الاصلاح الذي يستحسن التمهيد له بما يناسبه من الخراب او شبهه . ولكن لم بقيت كلمة (الملك) فى البيت ، وقد حذفها فى بيت سابق ؟! ربما أراد الشاعر بإبقائها هنا إغراء السلطان الذي كان يؤثر الاهتمام بملكه ومصالحه ، فلعله يتنبه الى الإصلاح .

القصيدة الثانيـــة(٣)

« أنين المفارق» وقد نظمها بعد عودته من الاستانة الى بغداد وربما كان ذلك في سنة ١٩٠١ م وقد حدث التغيير فى ثلاثة عشر بيتاً مما اعاد نشره فى الديوان منها وهي :

١- تباهوا بما حازوه من رتب حظوا
بها ووسامات على الصدر تلمع

وقد غير فى الديوان عبارة (حظوا) فجعل مكانها : (سموا) وأحسب أنه إنما عدل عن الأولى ليشير الى ان الحاكمين فى الاستانة كانوا يتباهون بالرتب الرسمية والأوسمة التي يمنحها السلطان ويعدونها علامـة سموهم بين الناس أما الاعمال فلا قيمة لها ، ومن بديهات الأمور ان المناصب في الدولة العثمانية كانت تعطى لغير الأكفاء في كثير من الأحيـان . على ان الكلمة القديمة لا تعجز عن تأدية هذا المعنى بما يحيط بها من مفردات أخرى فان التباهي بالرتب والأوسمة دليل النقص وعدم الكفاية ولكن الجديدة اصرح في تأدية المعنى الذي أراده الشاعر فيما بعد .

٢- ولا رتبة (البالا) ترفع شأنه
إذا لم يكن في فعله ما يرفع

(٣) الكلم المنظوم : ٩ ـ ١٢ والديوان ٨٠ ـ ٨١ و ٢٨٢

وفي الديوان :

ولا الرتب المعطاة ترفع شأنه . . . . الخ

ولعل الشاعر تجنب كلمة (البالا) لانها واحدة من الرتب الكثيرة فهو لا يريد ان يحدد الرتبة بنوع معين . أمــا انها غير عربية فليس بسبب ناهض بالتغيير إذا عرفنا ان الزهاوي استخدم مفردات غير عربية في شعره . ولنا أن ننقد عليه الفعل المضعف (ترفع) الذي تكرر في البناء الاول وبقي على حاله في الشطر الثاني بعد التغيير فان هذه البنية لاتكاد تستعمل بهذا المعنى في النصوص الفنية من شعر ونثر وانما المستعمل من هذه المادة ثلاثيها حسب . اما كلمة (المعطاة) فهي الأخرى لا تعد وكونها قلقة ثقيلة .

٣ـ ولكنني لمــا تهيأت صدّني
عن السير (بوليس) وراثى يهرع
فقلت لهم ماذا تريدون من فتىً
يعود لأرض جاء منهــا ويرجع

وقد حدث تغيير في الشطر الاول من البيت الثاني فجاء هكذا :

فقلت له ماذا تريد من امرىءٍ . . . . الخ

وهذا التحول من ضمير الجمع الى ضمير الافراد ناشيء من الاسم الذي يعود عليه الضمير وهو كلمة (البوليس) في البيت الــذي قبلـه فان هذه الكلمة وصفها الشاعر بجملة (يهرع) وصف افراد فاراد ان يبقي على افراده فغير وقد اضطره التغيير والــوزن ايضاً الى ان ينتقل من كلمة (فتى) الى (امرىء) ولو انه ابقى البيت كما كان لصح له المعنى جاعلاً من (البوليس) اسم جمع . على ان الشاعر اعاد الضمير جمعاً مرة اخرى فقال :

٤- فما لبسوا لي بالجواب وانما
أعدوا جواسيساً ورائي تتبع

وهذا البيت حدث فيه تغيير ايضاً وذلك في كلمة (ورائي) فجاءت بدلها (لخطوى) وليس في الجديدة من أثر ينقل المعنى الى سمت ارفع مما هو عليه سوى الاهتمام بمفعول (تتبع) الذي لم يكن موجوداً في التركيب السابق.

٥- ولست بناسٍ نكبة نزلت بنا
يهون لديها الحادث المتوقعُ

وفي الديوان :

ولستُ بناسٍ نكبة نزلت بنا
على حين ما كنا لها نتوقع

وهذا ابرز مثل للسرعة في النظم . ولقد كان مناسباً جداً ان يتغير الشطر الثاني لأنه لا يعبر عن المعنى المقصود اذ الوصف غامض لا يدل على ضخامة (الحادث) وجسامته حتى يهون هو وأمثاله ازاء تلك النكبة التي نزلت بالشاعر وصحبه اما التغيير الذي صار اليه ففيه إنقاذ للمعنى ولكنه بعيد عن الصدق فقد كان متوقعاً ان يحدث له مثل ذلك وكان عليه ان يقول بدل هذا كله :

ولست بناسٍ نكبةً نزلت بنا
يهون لديها كلُّ ما نتوقع

• • •

٦- وانا من الأحرار مهما تالبت
عليناعوادي الظلم لا نتضعضع

وفي الديوان جاءت كلمة (الدهر) بدل (الظلم) في الشطر الثاني ولو انه ابقاها كما كانت لتجنب التقليد والمحاكاة فهو بهذا التغيير قد ذكرنا بداهة بقول أبي ذؤيب الهذلي :

وتجلدي للشامتين أريهم
أني لريب الدهر لا اتضعضع (٤)

• • •

٧- وأنا اذا شئنا خضوعاً لواحد
فلسنا الى شيء سوى الحق نخضع

وفي الديوان : (لسيد) بدل : (لواحد) ولا بأس بالتغيير لان فيه تلميحاً لسيادة الحق التي كان الشاعر يدعو اليها في الكثير من شعره السياسي . وان كان في المفردة الأولى اشارة الى ما كان عليه السلطان عبد الحميد من الاستئثار بالحكم والانفراد المطلق بالنهي والأمر .

٨- يحيط بنا من كل صوب وجانب
فريق من البوليس يسعى فيسرع

وقد حدث تغيير ضئيل في الديوان وهو استبدال حرف العطف من قوله (فيسرع) فقال : ويسرع .وهذا الصنيع تدارك من الشاعر ودعم للمعنى لأن التشريك في الوقت افضل وانسب من الترتيب والتعقيب اللذين تؤديهما

---

(٤) ديوان الهذليين - القسم الأول ص٣ الدار القومية للطباعة والنشر ١٩٦٥ م القاهرة .

(الفاء) ففي الجديدة قوة تنهض بالمعنى وفي القديمة ضعف لا يتساوق مع تلك الحركة حركة السعي والسرعة . ولو أن الشاعر قال :

يحيط بنا من كلّ صوبٍ وجانب
فريقٌ من البوليس قد جاء يسرع

لا ستغني عن الواو والفـــاء وعن (السعي) الذي قد يبطيء احياناً في الحركة.

٩ـ نبعـد منفيين كـلٌ لبلـدةٍ
ومـا ذنبنـا الاّ نصـائح تنفـع

وفي الديوان : (كلاً) بالنصب ، والـذي يريده الشاعر من البيت ان الدولة اخرجته وأصحابه من الاستانة ونفت كل واحد منهم الى بلدة فتفرقوا وهذا ما يؤكده بعض محتويات القصيدة ولا سيما قوله في صحبه :

ونابهم خطبٌ فشتّت شملهم
وكان بهم شمل المكارم يجمع

واذا كان هذا قصده ـ وهو من المؤكد ـ فكلا الوجهين صحيح ولكن النصب يجعل (كلا) حالا مفردة مترادفة أو متـداخلة مـع (منفين). أما الرفع فهو من قبيل الابتداء بالنكرة والمسوغ العموم وتكون الجملة حـالا ثانيـة بعد منفيين ورابطها الضمير المحذوف والتقدير : كل واحـد منا صائر لبلدة .

١٠ـ قضى ان يعيش الحرّ فيها معذبا
وهل لفتى مما قضى الله مفزع

وفي الديوان :

قضى ان يعيش الحرّ فيها مهددا
مهانا وهل مما قضى الله مفزع

والتغيير ليس فيه سوى تعدد الصفات أو ما يسمى بتتابع الأحوال من تهديد وإهانة وهاتان يمكن أن تفهما من التعبير السابق فالعذاب فى سياق الاسلوب السياسي قد ينشأ من أسباب متعددة بعضها التهديد والاهانة ولكن الشاعر أراد الصراحة فغير وبدل .

١١- حملنا الأذى حتى حنى من ظهورنا
وقيل لنا لم يبق في القوس منزع

أراد : وحتى قيل لنا . . فحذف (حتى) لضرورة الوزن فجانب بذلك الاسلوب العربي المتبع ، وهذا نموذج للسرعة الواضحة فلا مناسبة للحذف سوى الوزن ، ثم لا مناسبة لهذا الفعل الذي ساقه في بداية الشطر الثاني : « وقيل لنا ... » أكان شاكا فى أمره ؟ أم كان لا يحس بأن صبره قد فنى أو كاد يفنى حتى ينتظر من غيره أن يقول له ذلك ؟ ولم هذا التكلف كله فى نقل الأساليب والمعاني القديمة الموروثة ؟ لعل الشاعر فكر فيها بعد بأنه أخل بالتعبير عن هذا المعنى المشهور فغير الشطر الثاني في الديوان الى ما يأتي :

حملنا الأذى حتى حنى من ظهورنا
ولم يبق في قوس التحمل منزع

ولكنه أيضاً حذف حتى في أول الشطر الثاني لضرورة الوزن . أما

(التحمل) الذي صار إليه فلعله -في رأيه - تجديد وبعد عن كلمة (التصبر) التي ترتسم في الذهن قبل غيرها في هذا التركيب المعروف وفي هذه الصورة المتخيلة التي سبقه اليها كثير من الشعراء ومنهم الأخرس البغدادي المتوفي سنة ١٢٩٠ هـ = ١٨٧٤/١ م فقد قال :

وكنت اداري بعدكم جابر الاسى
ولكنني لم أبق في القوس منزعا (٥)

• • •

١٢- تيقظت الأقوام من غفلاتها
ونحن بحال لم نزل فيه نهجع

وفي الديوان « من غفلة لها » وليس في الجديدة سوى الانتقال من الجمع الى الافراد ومن التعريف الى التنكير المخصص . ولعل العبارة القديمة أفضل من الجديدة فليس للناس غفلة واحدة إلا إذا اريد العموم .

١٣- كم ارتفعت من أمةٍ بعد أمةٍ
باسعادها للعلم والعلم يرفع

وفي الديوان « بتعميمها » بدل : اسعادها ، وإذا كانت الجديدة انسب من القديمة في تأدية المعنى فانها ليست من مفردات الشعر ، وحسبها انها في بيت ركيك وهو من قصيـــدة ليس فيها الا القليل من مقومـــات الشعر وخصائصه الفنية .

---

(٥) الطـــراز الأنفس ص ٢٥٢ طبع استانبول سنة ١٣٠٤ هـ مطبعـــة الشركة المرتبية .

القصيدة الثالثة(٦)

وعنوانها «الصارخة »، ولعله نظمها في سنة ١٩٠٥م وهي طويلة تقع في ٥٨ مخمساً وقد حدث التغيير في أحد عشر مخمساً مما أعاد نشره في الديوان وهي :

١ـ إن حزني في ارض بغداد بادى
كل يوم في شدّةٍ وازدياد
ربِّ ابدل لي قربها ببعاد
إن بغداد وهي ام بلادى
كرهتها نفسي ومل فؤادي

وهـذا اول مخمس فيها وقد حدث التغيير في الشطر الرابع منـه فجاء هكذا .

طال في بغداد فيضُ اضطهادي . . .

وفي الشطر الخامس في عبارة (كرهتها) فجاءت بدلها « فقلتها » من القلى وهو الكره ايضا . ولنا ان نتصور مدى شاعرية الزهـاوي في التغيير

---

(٦) الكلم ص ٢٤ ـ ٣١ والديوان ١٩٦ـ١٩٧ .

الأول حين انتقل من سلاسة ووضوح الى تنافر ونشوز موسيقى وغموض ، تنافر في الحروف مــن تكرار الطاء والضاد ، واضطراب في الموسيقى باستعماله التفعيلة الثانية تامة غير مخبونة حتى اضطره ذلك الى صرف بغداد بالتنوين - وما اكثر هذا في شعره - وغموض في التنازع بين الفعلين: (طال) و (مض) على (الاضطهاد) . وهذا التغيير هو الذي الجأه الى التغيير في الشطر الخامس ليعطف الفعل على الفعل عطف ترتيب :

٢- إنه ساء بالعواقب ظني . . . .

وهذا هو الشطر الثالث من المخمس الثاني ، والتغيير في عبارة (إنه) فحلت محلها في الديوان :(ولقد) وهو تغيير حسن فلا يصار الى ضمير الشأن إلا عند الحاجة :

٣- إنني في يم تلاطم شرا
بين امواج ازبدت ليس يدرى
اي موج يكون لي ثم قبرا . . . .

وهذا هو المخمس السادس وقد وقع التغيير في الشطر الثالث منه فقد جاء في الديوان بدل (ثم) التي هي اسم إشارة عبارة (فيــه) والضمير يرجع إلى اليم ولوبقي الشاعر على صنيعه الأول لما ألجأنا الى تعين مرجع الضمير لوجود الموج قبله .

٤ وجاء في المخمس الثالث عشر :

فالبسى إذ فدوا وبادوا جميعا . . . .

وهذا هو الشطر الرابع منه والتغيير في جملة (فنوا) فجـاءت مكانها جملة (قضوا) ولا فرق بينهما .

٤ـ وجاء في المخمس السابع عشر :

ايها الزارعون ثم شرورا . . . .

وهو الشطر الرابع منه وقد وضع عبارة (فيها) بدل (ثم) التي هي اسم إشارة ليعود الضمير إلى بغداد في الشطر الأول .

٦ـ انما العلم للممالك صون

حيث بالجهل ليس يثبت كون

وهما الشطران الأول والثاني من المخمس التاسع عشر وقد حدث التغيير في الشطر الثاني فجاء هكذا :

وعلى الجهل ليس يثبت كون . . . . الخ

وحسناً فعل لأن التعليل بحيث من اضعف معانيها وإذا استسيغ ففي النثر لا في الشعر ولكن الشاعر كان متأثراً بلغة القرن التاسع عشر فقد كان الأخرس . ـ وغير الأخرس أيضاً ـ يستعمل حيث للتعليل كما في قوله :

إن ايامك اعياد المنى

حيث كانت للاماني موسما (٧)

٧ـ وفي المخمس المتمم للثلاثين حدث تغيير في الشطر الأول منه وهو:

٧ـ الطراز الأنفس ـ المصدر السابق ص ٣٧٤ ؛

ايها الناس فات وقت الملاهي . . . .

وفي الديوان (مر) بدل : فات ولا فرق بينهما .

٨ـ استنيروا بالعلم فالعلم نور
انه بالعلوم تنفى الشرور
ضجرت من هذا السكون القبور
انهضوا للنجاح طراً وثوروا
انا ناديت لو يثير المنادي

وهو المخمس الحادى والثلاثون وقد غير في الشطر الثاني عبارة (إنه) فجاءت بدلها: (إنما) وهو تغيير حسن لارادة الحصر وللفـرار من ضمير الشأن الذي أكثر من الاتكاء عليه . وبدل تبديلا واضحاً في الشطر الثالث فجاء هكذا :

انفضوا علكم الخمول وثوروا . . . .

وهذا البناء أقوم من سابقه فالنجاح وطراً ـ ولاسيما طراً ـ من المفردات التي تقحم نفسها إقحاماً في الشعر .

٩ـ وجاءت كلمة (نفع) بدلا من (خير) في الشطر الثاني من المخمس الثاني والثلاثين وهو :

فيه خير لنا وفيه ابتهاج . . . .

ولا تفر بينهما .

١٠- ايها العدل انت بدر التمام

تتوارى حتام تحت الغمام

ابدُ كيما تشق جيب الظلام

كم كرام ضمن السجون نيام

يشبهون السيوف في الاغماد

وهذا هو المخمس الثاني والأربعون وقد حدث التغيير في شطرين منه فجاء الشطر الثاني هكذا :

قد توارى ليلا وراء الغمام . . .

وهذا التغيير ضرورة الجأه إليها سقم التركيب الأول لأن الاستفهام له الصدارة في جملته معنى ونحواً وهذا ما لاحظه الشاعر فقد كان عليه ان يقول :

حتام تتوارى تحت الغمام . ولكن هذا التركيب السليم غير موزون فقدم الفعل المتعلق به على اداة الاستفهام المجرورة وخالف بذلك طبيعة الاستفهام ثم القاعدة النحوية لذلك عدل عنه إلى التركيب الثاني ولكنه فقد معنى الاستفهام الدال على الاستبطاء وفي الاستفهام دعم للصورة وتمكين لابعادها في مجال الرؤوية ؛

أما التغيير الآخر فقد حدث في الشطر الثالث فجاء هكذا :

كم كرام تحت التراب نيام . . . .

وهذا التغيير يفسر لنا جانباً من التغيير السابق لئلا تتكرر كلمة (تحت) ولكن لم غير هذا الشطر ؟ لعله أراد الا يهمل الجانب المهم في نهاية الأحرار آنذاك فإن السجين قد يطلق أما أولئك فقد كانوا عرضة لما هو أشد من السجن وهو الموت أو الخنق في السجون :

القصيدة الرابعة :(٨)

(النادبة والعدل) وهي من منظوماته سنة ١٩٠٦ وحين طبع الديوان اختار معظمها وقسمها فيه الى ثلاثة اقسام واختار مقطعا منها في اللباب وقد وقع التغيير في بعض ابياتها وهو في اللباب اكثر منه في الديوان اما الابيات فهي :

١- ويغضى خلال النظرتين محاذراً
رقيبا لها ان لم يكده يكيدها

والبيت في الديوان كما هو في الكلم ولكنه في اللباب جاء هكذا :

ويغضى خلال النظرتين محاذراً
رقيبا إذا ما لم يكده يكيدها

وقد غير الشاعر لسبب نحوي فان جواب الشرط (يكيدها) جاء مرفوعا في البناء الاول وهو مسبوق بـ (ان الشرطية) وهي جازمة واذا جزم الفعل خالف مجرى القافية فتحول الشاعر من (ان) الجازمة الى (اذا) غير الجازمة في التركيب الثاني لتسلم له القافية والقاعدة النحوية ، واذا كان هذا سبب التغيير فليس بصحيح لان المضارع يجوز رفعه - وهو حسن او كثير . اذا كان فعل الشرط ماضيا لفظا او معنى وهو هنا ماض في المعنى لانه مسبوق بـ (لم) النافية.

---

(٨) الكلم ٣٤ - ٣٧ والديوان ١٦٣ و ٢٢٣ و ٢٨٣ - ٢٨٤ واللباب ١٣-١٤

٢ـ تـروم صعودا نفسه لفضائها

فيعيي عليها ثم يعيى صعودها

وفي الديوان : (فى فضائها) وفى اللباب : (في سمائها) وكأنه في الاولى لم يفكر بغير حرف الجر فانتقل من (اللام) الى (في) انتقالا لا يدل على استيعاب فان اللام تؤدي معنى الانتهاء المناسب للصعود . وفي الثانية فكر في الجهة ايضا فلاحظ ان السماء انسب الى الصعود من الفضاء ولو انه اعاد (اللام) مع السماء لكان افضل ما دام الصعود باقيا لم يتغير .

٣ـ سواء على من بات فى بطن حفرة

رهين البلى بيض الليالي وسودها

وليس في الديوان تغيير ولكنه فى اللباب غير كلمة (بطن) بكلمة (جوف) وليس بينهما تفاضل .

٤ـ اريقت دماء من رجال اعزة

بارضهم فاحمر منها صعيدها

وفى الديوان واللباب وقع تبديل فى اول الشطر الثاني فجاءت عبارة (باوطانهم) مكان (بارضهم) والجديدة اشمل وانسب في سياق الفكرة والتعبير ولكن القديمة اقرب الى الصعيد من الجديدة .

٥ـ ستنضخ بالاكفان يوم حسابها

دماء امام الله منها شهودها

وفى الديوان واللباب (في الاكفان) واذا كان قصده الظرفية فالباء

كفيلة بها .

٦- فكم زوجة لما دهى الظلم بعلها

بكت فبكى في الحجر منها وليدها

وفي الديوان كذلك ولكنه في اللباب قال (وكم ...) ولا فرق بينهما اذ لا عطف على كلام مماثل وانما هو استئناف من الشاعر في هذا البيت .

٧- وقوفا على الاجداث تتلو قصائدا

فتبكي مع المستمعين قصيدها

وقد ادرك الشاعر ما في كلمة (المستمعين) من الركة والابتذال فغير البيت في الديوان الى ما يلي :

وقوفاً على الاجداث تتلو قصائداً

فتبكي وتبكي السامعين قصيدها

ولكنه ابقى تاء التأنيث في الفعل الثاني (وتبكي) وفاعله قصيد وهو اسم جنس جمعي يغلب تذكيره وتذكير الضمير العائد عليه وكان الافضل ان يقول : (ويبكي ...) .

٨- وما العدل إلا غادة ملكية

هوى النفس مني مقلتاها وجيدها

وليس في الديوان تغيير ولكن كلمة (العدل) في اللباب تغيرت الى كلمة (الامن) فهل كان يحس بعدم الاستقرار والطمأنينة حين نشر اللباب ؟

٩- اولئك اشراف البلاد وفخرها

اولئك لا غيرُ أولئك صيدها

وجاء الشطر الثاني في الديوان هكذا : أولئك في رأيي اولئك صيدها .

ولا بأس ان يقع التغيير في كلمة (غير) المنونة ضرورة لأن حقها البناء على الضم بسبب قطعها عن الاضافة لفظاً ، ولو بنيت انسجاماً مع القاعدة النحوية لدخل زحاف الكف على التفعيلة وهذا الزحاف قبيح في الطويل ، لذلك عدل عنها الى العبارة الثانية ليستريح من مخالفة النحو والعروض ولكنه انتقل من ضعف الى ضعف ولعله خشي ان يتهم بالمبالغة فاحترز بهذا القيد الركيك .

القصيدة الخامسة(٩)

(أيتها السماء) : وهي طويلة فى الكلم المنظوم ولكنه لم يثبت منها سوى خمسة ابيات فى الديوان وقد وقع التغيير في بيتين من هذه الخمسة وهما :

١- إليك تتوق أيتهـا السماء

نفوس قد أضربهـا الشقاء

وهو أول القصيدة وقد جاء التغيير في الشطر الثاني فحل فعل (ألم) محل (أضر) وكلاهما ينهضان بالمعنى .

٢- وإنا نحن قومٌ قد أهنا

وإنا نحن قـوم (أبـرياء)

وفي الديوان : (ظلمنا) بدل (أهنا) والتغيير مناسب لكلمة (أبرياء) .

---

(٩) الكلم ٣٨ والديوان ٢٨٥ .

القصيدة السادسة(١٠)

مخمس عنوانه في الكلم المنظوم : (أنت يامصر ملجأ الاحرار) وفي الديوان تحت عنوان : (الربيع والطيور) والراجح انه نظمه في سنة ١٩٠٦م وقد غير وبدل في الكثير مما أثبته في الديوان منه ولم يكتف بالمفردة او الاثنتين بل تجاوز ذلك الى الشطر كله في بعض المخمسات وهذه مواطن التبديل :

١ ـ المخمس الثالث وهو :

فترنمت كالطيور صباحا
بكلام يمـازج الارواحا
ذاك سر الهوى به القلب باحـا
فى هتاف يولي النفوس ارتياحا
قد تعلمته من الاطيار

والطيور لاتتكلم وإنما تغني فتقليدها انما يكون غناء لذلك غير في الديوان ثم في اللباب عبارة (بكلام) وجعل مكانها : (بغناء) ليتم الانسجام بينه وبين الطيور وهو تغيير جيد ، ثم وضع فى الشطر الرابع (نشيد) مكان : (هتاف) ولا فرق بينهما .

---

(١٠) الكلم ٤٥ ـ ٥١ والديوان ١٢٣ ـ ١٢٦ . واللباب ٦ ـ ٨ .

٢ ـ المخمس الخامس وهو :

وشدا الطير منشداً بالبديه

غزلاً رائقا تفنن فيــه

إيه يا طير إيه أحسنت إيه

إن لحنا فى الروض تسمعنيه

هو احلى من نغمة الاوتار

وهــذا المخمس جاء في الديوان على نسقه في الكلم المنظوم ولكنه في اللباب وضع (قد) مكان (الواو) فى أوله فقال : (قد شدا) والعطف مناسب لما قبله فلا جديد .

ثم غير كلمة (أحلى) في الشطر الاخير فجاءت مكانها كلمة (أشجى) والجديدة أكثر التصاقاً وأنسب من الاولى .

٣ ـ المخمس السادس : وهو فى الديوان على غرار الكلم المنظوم ولكنه فى اللباب قد تبدلت عبارة من شطره الثاني فقد كان فى الكلم هكذا :

صوتك القصد فاعتمد لا غيرُ

قال ذلك وهو يخاطب الطير ثم جاء في اللباب هكذا :

صوتك القصد وحده لا غيرُ

والشطر باق على ركته وإن كانت الجديدة أفضل من القديمة .

٤ ـ المخمس السابع وهو :

لست أنسى فيما سمعت الهـزارا
إنــه كان فاتنــا ســحارا

صاح فى الروض صيحة ثم طارا
فكـأن الهـزار اضـرم نـارا
عندما صاح فى حشى الجلنار

ولم يتغير منه شيء في الديوان ولكن الشطر الخامس تبـدل بأكمله في اللباب وصار :

فى قلوب قد انصتت للهزار

ولعله شعر فيما بعد أن الصيحة هنا لا مناسبة لها فالهزار يغني ولا يصيح وبقى اضرام النار الذي أحدثته صيحة الهزار في حشى الجلنار ؟ !

٥ المخمس التاسع : وقد وقع التغيير فى شطره الثاني وهو :

نسج الزهر فوقه اكليلا

وفي الديوان واللباب (عقد) وهو تغيير جيد فالاكليل يعقد ولا ينسج .

٦ ـ المخمس الحادي عشر : وكان التغيير في شطره الثانى وهو :

فى شعاع للشمس وفق هواها

وفي الديوان واللباب (طبق) بدل : (وفق) وكلتاهما ركيكتان هنا

٧ـ المخمس الرابع عشر : وقد حدث التغيير في الشطر الاول منه وهو :

حب بالروض انه قد تزين

وفي الديوان واللباب :

حبّذا الروض إنه قد تزين

وهو تغيير حسن لأن فيه انتقالا الى المألوف السمح .

٨ ـ المخمس الخامس عشر وهذا نصه في الكلم المنظوم :

حيث ظل للسرو فوقي ظليلُ
وعلى السرو للحمام هديل
وبساط للزهر تحتي خميل
وأمامى مرج رواه جميل
وغدير للماء صوب يساري

وقد جاء الشطر الرابع منه فى الديوان هكذا :

وأمامى روضٌ نضيرٌ جميل

ثم جاء فى اللباب هكذا :

وكثيبٌ إلى يمينى جميل

وتبدلت كلمة (صوب) فى الشطر الخامس الى (عند) في الديوان واللباب والذي يبدو ان الشاعر كان مضطرباً في الشطر الرابع فلا يدري إلى أي تعبير يصير ولما كان اللباب ثالث نص فا فيه هو المختار عنده كما يظهر . ولعله أراد ان يرسم صورة لمجلسه الذي هو فيه آنذاك من سرو وحمام يغني وبساط من الزهر وغدير ماء وكثيب أخضر ثم أراد ان يجمع الجهات من فوق وتحت ويمين ويسار فانتهى به المطاف الى الكثيب عن يمينه مقابل الغدير عن يساره .

٩ـ والمخمس السادس عشر لم يتغير منه شيء في الديوان فهو فيه كما جاء في الكلم المنظوم ولكن الشطر الاول منه تغير في اللباب فقد كان هكذا :

وبذات اليمين منى تفور

ثم صار في اللباب :

وأمامى بين المروج تفور

وقد ساقه الى هذا التبديل ما فعله في المخمس السابق فقد رأى في كلمة (المروج) رقة لا يستغنى عنها . اما (ذات اليمين) فهي من عبارات النثر .

١٠ـ المخمس السابع عشر وأوله :ـ

إذ تمشت ريح تريد وصولا
لغصون بسقن فى البعد طولا

ولا فرق في نصه بين الكلم والديوان ولكن هذين الشطرين صارا في اللباب هكذا :ـ

وتمشت ريح تريد وصولا
لغصون بسقن فى الدوح طولا

والانتقال من (إذ) الى واو العطف مناسب ، وكذلك الانتقال من البعد الى الدوح ؛ ولكن (طولا) قد فرضتها القافية .

١١ـ المخمس الثامن عشر وهو :

عبرتها حتى التقت بالغصون
ولوت من أعطافهـا والمتـون
فبكت من حزن عليها عيونى
يا بنات النبات هجت شجونى
إذ تلويت فى ذرى الاشجار

وفاعل (عبرتها) الريح التي مرت في المخمس السابق . والتقت هنـا بالغصون فلوتها فبكى الشاعر حزناً على الغصون . وهاجت الغصون شجونه حين تلوت في ذرى الاشجار . ولا يستوقفنا الجناس النـاقص بين البنات والنبات بمقدار ما يستوقفنا التغيير الذي حدث فى الشطر الاخير فجاء في الديوان هكذا :

بتلويك اليوم فى الاشجار

فالظرف الذي جاء به وهو (اليوم) حشو لا مسوغ له ، وانتقاله من التفعيلة السمحة المخبونه (مستفعلن) إلى التامة ضرب من عدم الاكتراث بالموسيقى ، ولكن الذى يشفع للشـاعر مالاحظه من اضطراب معنوى في التركيب الأول فإنه يوهم بأن الغصون التي كنى عنها ببنات النبات ليست من الأشجار وإنما هي ضيف عليها ، وأن الأشجار ليست من النبات لذلك قوم المعنى ولكن باداء غير متين .

١٢ـ ويعود في المخمس التاسع عشر الى خطاب هؤلاء البنات بأكثر من مرة واحدة فيقول في الشطرين الرابع والخامس منه :

بأبي أنت فاسكني من بنات
تتحنى في الهوى بكل انكسار

ثم يأتي الشطران في الديوان هكذا :ـ

بأبي أنت فاهدئي من بنات
تنحني للهوى بكل انكســار

وإذا كان التغيير في الشطر الخامس سليماً يتناســب مع الانحناء ووضع اللام موضع (في) هو الصحيح فإن التغيير في الشطر الرابع ليس مما ينهض بتركيب صحيح أو بمعنى جديد وربما ظن بالسكون معنى الموت فانتقل الى الهدوء ، واذا صح ما قلناه فهو على وهم فيما ذهب اليه لأن السكون معنى شائع في الهدوء وغيره .

١٣ـ وفي الشطرين الثاني والثالث من المخمس الثالث والعشرين طرأ تبديل في بعض المفردات فقد كانا في الكلم المنظوم :

طار إلفي صبحاً ولست أطيرُ
قد رماني بســهم غدر شريرُ

ثم صارا في الديوان :

طار صبحاً إلفي ولســت أطيرُ
قد رماني ظلماً بسهمٍ شريرُ

والملاحظ في الشطر الثاني أن الظاهرة فيه لا تتجاوز تقديم مفردة على مفردة أما الثالث فقد جد فيه (الظلم) بدل الغدر وتحول من التفعيلة المخبونة الى التامة ، وكان عليه أن يغير كلمة (شرير) إذ المشــهور فيها التضعيف لأنها من صيغ المبالغة .

١٤ـ والشطر الرابع من المخمس الرابع والعشرين كان في الكلم هكذا :

فلماذا والحب للمرء مغرى

والقافية مكسورة فكلمة (مغرى) اسم فاعل . أما في الديوان فهو :

فلماذا والحبُّ بالمرءِ مغرى

وهذا التغيير من الصحيح الى غير الصحيح إذا كان المعنى كما نفهمه من النص ، والذي نفهمه ان الحب يغري المرء بأحبابه ، وتأخير اسم الفاعل عن معموله يضعفه عن العمل فعداه باللام ومنه قولهم : إني لك من الشاكرين . أما إذا أراد الشاعر بالتغيير أن الحب يغري الناس بالمرء وحذف المفعول فذلك مالا نفهمه بأية حال إذا نظرنا الى ما يحيط بالنص وهو قوله :

إن أحبابك استقلوا بهجر

فلماذا والحب بالمرء مغرى

ماكث أنت بعدهم في الديارِ

فاللام أوثق صلة بالمعنى من الباء .

١٥- وفي الشطر الأخير من المخمس الخامس والعشرين بدل حرف الجر فقد كان في الكلم :

هو عن صبغة الحقيقة عارى

ثم استعمل في الديوان (من) بدل (عن) وهو الصحيح فقد قال المتنبي (١١) :

ومدقعين بسبروت صحبتهم

عارين من حلل كاسين من درن

(١١) ديوان ابي الطيب المتنبي شرح العكبري المصدر السابق ٢١١/٤ .

القصيدة السابعة(١٢)

(المجرة) وهي طويلة في الكلم المنظوم ولكن المثبت منهـا في الديوان قليل لذلك لم نجد إلا ثلاثة مواضع منها قد وقع فيها التغيير والتبديل وهي :

١- ماذا برقراق السحائب   ضمن المجرة من كواكب

وهذا اول بيت فى القصيدة وقد حدث فيه تغيير فجاء فى الديوان هكذا:

كم ضمن هاتيـك السحائب
وسـط المجرة من كواكب

وليس في هذا التبديل سوى الهبوط والاسفاف . ولعل الذي ألجاه الى هذا التصرف المخل بالبناء والتركيب ما وسع به تفكيره فيما بعد أو ما ادعاه من الاطلاع والعلم فالنقل من مستفهم لا يدري - ويريد ان يدري - الى مخبر مطلع بأسرار الكون والفضاء وقد يكون الزهاوي بعد خمس عشـرة سنة من طبع الكلم المنظوم قد اطلع وافاد في دراسـته ولكن لم فعل هذا ؟ وقد كان في مقدوره ان ينظم شيئاً جديداً كما فعل في اكثر من معنى واحد أعاد نظمه في اداء آخر . ولو أنه ابقى استفهامه على حاله ونظم هذا المعنى بأسلوب جديد يتفق مع تطوره لما حدث له هذا الاسفاف .

٢- حيث الأسنة ثم فى الهبوات تضحك والقواضب

---

(١٢) الكلم ٥١ ــ ٥٢ والديوان ٢٢ .

وقد صيره في الديوان كما يأتي :

حيث الأسنة في ظلال النقع تضحك والقواضب

ولا ضير في أن يستثقل الشاعر (ثم) المقحمة كعادته في استعمالها لأنها لم تزد عن كونها تكملة وزن ، ولكن البيت بعد التغيير أوغل في المحاكاة والتقليد فتراكيبه ومعناه وما فيه من استعارة لم تزد عما رسمه الشعراء قديماً غير ان الشاعر أراد أن يجدد في مفردة واحدة وهي (ظلال) وكان القدماء يقولون : ظلام النقع . أو مثار النقع .

(٣) هل إن هاتيك السحائب ذات أنجمها الثواقب

وفي الديوان :

هل ليس هاتيك السحائب غير أنجمها الثواقب

اراد في التركيب الأول : أنجمها ذاتها فقدم مايشبه التوكيد المعنوي على المؤكد واضافه اليه وهو مستثقل عند النحاة لما فيه من التباس بين الذات الحقيقية والذات المعنوية فكان التعبير الجديد أفضل من القديم، وفي الحصر ما يساوي التوكيد بالحرف (إن) في البناء الأول ومايغني عن كلمة (ذات) التي لم توضع في مكانها .

القصيدة الثامنة (١٣)

(أرملة الجندي) وهي من الشعر القصصي وقد نظمها في سنة ١٩٠٦م ولكن بناءها برمتها غير رصين ففيه الوسط وفيه مادون الوسط وليس وراء ذين شيء يستحق الذكر سوى الفكرة والموضوع ، وقد تناول التبديل كثيراً منها وهذه صوره :

١ـ من اللائي لم يأتين فاحشة ولا
زنَنَّ بما منه العقائلُ تخجلُ

وفي الديوان (رمين) بدل : زنن . والجديدة أفضل لما فيها من الوضوح وشيوع الاستعمال وإن كانت القديمة بمعنى الأتهام غير ان في استعمالها تكلفاً وتوعراً :

٢ـ ترقرق ماء الحسن في وجهها الذي
هو البدرُ ليل التم أو هو أجملُ

وقد تغير الشطر الثاني في الديوان فجاء مع صاحبه هكذا :

ترقرقَ ماءُ الحسن في وجهها الذي
حكى الزهر في البستان أو هو أجملُ

---

١٣ ــ الكلم ٥٦ ـ ٦٢ والديوان ٨٢ ـ ٨٦ :

ولا شيء في التغيير سوى التجديد في إطار الصورة القديمة فكأنه اراد ان يتجنب التشبيه القديم ليضع مكانه تشبيهاً جديداً فجاء بألفاظ مبتذلة ليست إلا من أساليب المبتدئين .

٣- ولازم حمّى الدق ناعم جسمها . . . الخ

وفي الديوان (السل) بدل « الــدق » والتغيير حسن لما في القديمة من إتكاء على لغة العامة .

٤- ويعرقُ منها الجسم في كل ليلةٍ
ونفثُ من سلٍ دما حين تسعلُ

وقد حدث التبديل في الشطر الثاني فجاء في الديوان أضعف من سابقه فكان :

ويعرقُ منها الجسم في كل ليلةٍ
وتنفثُ أحياناً دماً حين تسعلُ

وإنما غير لئلا تتكرر كلمة (السل) على انه يكثر من تكرار المفردات

٥- وأنشبَ في أحشائها الداء ظفرهُ
فظلت له أحشاؤها تتبزلُ

ونترك للشاعر ما أخذه من أبي ذؤيب الهذلي في رثاء أولاده وابن الرومي في رثاء ولده ايضاً لننظر الى التبديل الذي حدث في الشــطر الثاني وهو استبدال حرف جر بآخر فقد جاء في الديوان : (به) بدل : (له) فاستعان بالباء الدالة على السبب ونسي ان اللام تأتي للتعليل كالباء .

٦- تجنب فقد مزقت أحشاء صدرها . . . الخ

وصدرها حشو في البيت ولكن التبديل في فعل (تجنب) فاستعمل مكانه (تراف) وهو مناسب لطلب الرحمة من المرض على سبيل الاستعارة مادامت الصورة مؤلمة حزينة ولكن التركيب ضعيف على أي حال .

٧- كذلك جسم المرء يأكله الطوى
إذا المرء لم يلف الذي هو يأكلُ

وفي الديوان : (لا يلفى) والتعبير الاول أسلم لأن الغالب في (إذا) الشرطية ان يليها الماضي لفظاً أو معنى ، والعرب ينفون المضارع بعدها بلم لنقله الى المضي وإن كانت (إذا) تصير الماضي مستقبلا .

٨- تروحُ الى دار الحكومة تبتغي
معاشاً لها مستأخراً ليس يحصلُ

والبيت ركيك لا ينفع معه الترميم ولكن الشاعر أراد ان ينتقل من مصطلحات الدولة العثمانية الى المصطلحات الجديدة بعد الاحتلال الانكليزي فغير (معاشا) وقدم وأخر ليستقيم له الوزن فقال :

تروح الى دار الحكومة تبتغي
لها راتباً مستأخراً ليس يحصلُ

• • •

٩- أنلني معاشي اليوم وارحم فإننا
جياع إذا لم يعط من أين نأكلُ

والبيت مع ضعف تراكيبه مضطرب في أداء المعنى المقصود فضمير

المعاش هو نائب الفاعل لفعل (يعط) وقد باعد بين الضمير وصاحبه حتى كان الافضل ان يبنى الفعل للمتكلمين لا للغائب انسجاماً مع قوله : (اننا جياع)ثم استعمال جواب الشرط خالياً من فاء الربط هو الآخر مخل بالتركيب ومهما يكن فإن البيت قد تغير شرطه الاول في الديوان فجاء هكذا :

أنلني بفضل منك حقي فاننا . . .

ولم يفكر الشاعر بغير كلمة (المعاش) التي جره استبدالها الى تبديل ماجاورها وترك الشطر الثاني على اضطرابه لغة ومعنى .

١٠ـ منكدة قد طالبتك بحقها

فلو كنت تقضي سؤلها كنت تعدلُ

وفي الديوان جاء الشطر الثاني هكذا : فلو كنت تقضيه لها كنت تعدل. ولا بأس بالتبديل لتأكيد قضاء الحق نفسه .

١١ـ وأعوزها زيت تنوّر بيتها

به والدجى سجف على الارض مسبلُ

وجاء الشطر الاول في الديوان هكذا :

وأعوزها زيت تنيرُ مكانها . . . .

والجديدة أقوم لأنها أكثر استعمالا . .

١٢ـ فجرّ اليها الليل أجناد همها

إذا فرّ منها جحفلٌ كر جحفل

وفي الديوان : (أجناد دجوه) فانتقل من هم المرأة الى دجى الليل ومن ضمير الغائبة الى ضمير الغائب ولا مسوغ لهذا التبديل الذى احتشدت

فيه الاصوات المتنافرة الثقيلة على اللسان . ثم اين الجمال الذي تفر وتكر من الاجناد القليلة ؟

١٣- ألا ليت أمّى لم تلدنى أو انني
نفتني المنايا قبل انى أعقلُ

وفي الديوان : (أتتني) مكان نفتني وهو تغيير حسن . وأحسن منه : دهتني أو رمتني . أما الشطر الاول فهو من الاساليب المرروثه .

١٤- ولا مثل بطن القبر دار عدالة
تساوى بها حالا رؤوس و أرجلُ

وفي الديوان :

ولا مثل بطن الارض دار إقامة
تساوت لنا فيها رؤس وأرجل

وقد تكون كلمة (إقامة) أنسب من كلمة (عدالة) التى تفهم من الشطر الثاني ولكن ما بقي من التغيير ليس فيه جديد .

١٥- وقولي لها يا روح بعدك عيشنا
تعسّر حتى كاد لا يتحمل

وفي الديوان :- (عاد) بدل : كاد . والجديدة من لغة الجرائد وليست أفضل من القديمة .

١٦- وخرى على أقدامه وتذللى
له ان من يبدي الهوى متذلل

وفي الديوان جاء الشطر الثاني هكذا :

. . . . له ان من يهوى أمرأ يتذلل

والتغيير فيه دعم للمعنى ولكنه لا ينهض بشيء في عملية البناء . أما بداية البيت ونهايته فهما من مبتذل الالفاظ .

١٧- وفى فمها بان ابتسام كأنها
تشاهد شخص الزوج فيما تخيل

وفي الديوان (على فمها) والتغيير سليم .

١٨- تراه قريب الارض فى الجو ثابتاً
فلا هو يستعلى ولا هو ينزل

يريد : قريباً من الارض فاضطره الوزن الى ترك (من) وبدل في الديوان (ثابتا) فجعل مكانها : (واقفا) وما أتى بجديد سوى ان الوقوف قد يدل على الحيرة التي لا يدل عليها الثبات .

١٩- فمدت يداً نحو الخيال مشيرة
اليه وقالت وهى فى البين تسعل

وفي الديوان : (الوقت) بدل : (البين) في الشطر الثاني والجديدة على ركتها افضل من القديمة في سياق المعنى .

٢٠- فان كان لي ذنب به عفت مسكنى
فإنى لذاك الذنب بالدمع أغسل

ثم جاء البيت في الديوان وفي شطره الأول تغيير فقد وضع (به) مكان (له) و (منزلي) بدل (مسكني) ولا فرق بين الباء واللام في التعليل الذي أراده ولكن ابقاء الباء افضل من الوجهة اللفظية للتخلص من تكـرار اللام في قوله : (لي - له) ثم هي أفضل لأنها صريحة في بيان السبب الـذي هو من معانيها المشهورة ، وقد سبق للشاعر ان تحول من اللام الى الباء في النموذج الخامس من هذه القصيدة نفسها . اما المسكن والمنزل فـلا فرق بينهما في سلسلة من المفردات غير المتماسكة .

٢١- هلمّ الى جنبي فانى مريضة
بحمّى قوى جسمى بها تتزلزل

وقد تغير الشطر الثاني في الديوان فجاء مع الأول هكذا :

هلمّ الى جنبي فانى مريضة
لحمّى بها اوصال جسمى تزلزل

وليس في هذا التبديل من اصلاح وترميم ولعل في التركيب الجـديد اكثر من خلل واحد فمجيء اللام مكان الباء في قوله (لحمى) لا ضرورة له لان الباء أنسب من اللام مع مادة المرض وإذا جاز أن يفسر لنا هذا شيئاً من معرفة الزهاوي فانما يفسر عدم المامه بمعاني حروف الجر ووضع كل حرف في مكانه المناسب ، أما (أوصال) وهي المفـردة الجديدة فانمـا يناسبها التفكك لا الزلزال وأحسبه لو بقي على بنائه الأول لكان قد سلم من وضع المفردة في غير مكانها .

٢٢ـ اطلت عليها جارة ذات عيلة
لتعلم من فى ظلمة الليل يعول

وفي الديوان جاء الشطر الاول هكذا :

أطلت عليها عند ذلك جارة . . . .

ولعله كره عبارة (ذات عيلة) لان مناسبة الوصف ضعيفة أو أنه اراد الربط في الزمن بين جوع الطفل واستغاثة أمه ـ كما عبر في بيت قبل هذا ـ وبين إطلالة الجارة فجاء بعبارة (عند ذلك) واذا كان الثاني قصده فقد أعطى الصورة شيئاً من صدق التعبير .

٢٣ـ ونادت من الباكى كذا بحرارة
وذيل الدجى الضافى على الارض مسدل

ثم صار الشطر الاول في الديوان كما يلي :

ونادت من الباكى الذي يزعج الكرى . . . ؟

ولعله ادرك فيما بعد مدى الركة والابتذال في العبارة القديمة فغيرها الى الصورة الجديدة التي تحمل شيئاً من القوة .

٢٤ـ سقته حليباً كان ملء ثديها
فنام وباتت أمه تتململ

والجارة هي التي سقت الطفل لبناً من ثديها، هذا هو معنى الشطر الاول ولكن المفردات التي عبرت عن هذا المعنى ليس فيها شيء من التماسك والمتانة ولعل الشاعر أدرك هذا فيما بعد فبدل الشطر برمته وصيره في الديوان كالآتي:

غذته بما جاءت به من مقرها . . . .

والذي تغير في معنى الشطر مصدر اللبن الذي سقته الطفل فقد كان من الثدي ثم صار من الدار التي عبر عنها بالمقر تعبيراً متكلفاً .

٢٥- عليها ثياب رثـةٌ ومـلاءة

كأحشـائها في كـلّ آنٍ تمـزّق

وفي الديوان : (حين) بـدل : (آن) . وليست الجـديدة أمكن من سابقتها .

٢٦- تمـدّ يميناً بالسؤال ضعيفة

وتخجـل منهـم عندما هي تسأل

وفي الديوان : (حينما) بدل : عندما . ولا فرق بين الاثنتين .

القصيدة التاسعة(١٤)

« المستنصرية » وقد نظمها في أواخر تشرين الأول من سنة ١٩٠٦ م وهي فيما نراه من بنائها وشكلها انهض أداء وتعبيراً من القصيدة السابقة في حين انهما نظما في شهر واحد وربما كان للصور المتخيلة في القصيدة السابقة أثر في اضطراب الشكل العام ، أما هذه القصيدة فمعظم ما فيها من الصور حقائق شاهدها الشاعر وغير الشاعر ، وهي مع ذلك لم تسلم من الركة والتهافت في بعض المفردات المدلث غير وبدل فيها ولكنه لم يفلح في بعض ما اراده من التبديل أما الأبيات التي تناولها التبديل فهي :

١ـ وطأطأت رأسي في ذراها تواضعاً
وحييت بالتسليم منها المغانيا

وفي الديوان :

وطأطأت مني الرأس فيها تواضعاً . . . .

وأحسبه لم يوفق في هذا التبديل الذي جعل الشطر أدنى اسلوباً من شكله السابق فهناك إيجاز في العبارة (رأ.ي) وهنا إطناب مخل في قوله : « مني الرأس » واذا لم يقل « مني » فهل يكون رأس غيره وقد مهد له بتاء المتكلم ، ؟ولعل كلمة (الذرى) هي التى الجأته الى الركة في التبديل لأنها

---

(١٤) الكلم المنظوم ص ٦٣ـ٦٦ والديوان ص١٢٧ـ١٢٩ واللباب ص ٨ـ٩

لا تؤدي معنى : رحبة الدار وساحتها . مع انها لا تصير فيها إذا بلغت مكاناً لطأطأة الرأس . أليس لكل بناء ذروة ؟ .

٢- بناء فخيماً عزّ للعلم مثله
فقلت : كذا فليبن من كان بانيا

وهذا البيت من النماذج التي اضطرب الشاعر في بعض مفرداتها فلايدري الى أية مفردة يصير ، والمفردة التى اضطرب بها رصيده اللغوى في هذا البيت هي قوله : (فخيماً) ومن حقه ان يـراها فيما بعد ثقيلة أو انها قليلة الاستعمال وليست مثل : (فخم) التى تبدو ذات قوة من بين المفردات ولكن الوزن يأباها . ومن ثم تغيرت المفردة في الديوان فصارت : (جساما)وهي كما تبدو ليست بافضل من سابقتها . ثم صارت في اللباب : (جسيماً)وهذه الاخرى ليست بذات قوة في هذا الأداء وما كان أغناه عن كل ذلك وفي اللغة مفردات كثيرة يوصف بها البناء .

٣- اكلية العلم الذي كان روضه
نضيراً كما شاء التقدم ناميا

وفي الديوان :

أجامعة العلم التى كان روضها
نضيراً كما شاء التقدم ناميا

والتغيير هنا جيد .

٤- فأذهب ما للعلم من رونق الصبا
تتابع احداثٍ يشبن النواصيا

وهو كذلك فى الديوان ، ولكن (الفاء) في اول البيت تبدلت الى (واو) فى اللباب ، والواو أفضل لان الفاعل (تتابع) وليس ضميراً يعود الى اسم سابق .

٥- وصرت على حكم الذين تحرزوا
من العلم يا هذا الى ما ترانيا

وفى الديوان : (تخوفوا) بدل : (تحرزوا) . وهو تغيير جيد فان الحكم المستبد يخاف من نشر العلم بين الناس .

٦- فقد ذوىَ الغصنُ الذي كان ناضراً
وقد عُطّل الجيد الذي كان حاليا

وهو في الديوان كذلك ولكنه في اللباب بـ ـدل ناضراً فجعل مكانها (مزهراً) وليس في الجديدة من جديد .

٧- لقد نقض الايام بالعجم مرتي
ومر الليالي يتبعن اللياليا

وفي الديوان (مروتي) بدل (مرتي) والمروة مفرد المرو وتعني حجارة الصوان . أما المرة بكسر الميم فمن معانيها : طاقة الحبل وقوة الخلق وشدته وبذلك لا يكون تفاضل بين المفردتين فالنقض يكون للحبل وللبناء واذا كان الشاعر قد اراد الهروب من الجناس فانه وقع فيه مرة اخرى ، وكان عليه ان يفكر في حذف تاء التأنيث مع الايام وان كان جائزاً . وان يفكر أيضاً بكلمة العجم التي تستعمل في اختبار العود لا في الحبل ولا في البناء .

٨ـ لقد صيروا للفحم بعضي مخازناً

وبعضي حوانيتاً وبعضي ملاهيا

وفي الديوان : مخزناً بالافراد فتحرك ياء المتكلم قبلها بالفتح لضرورة الوزن . وكان المناسب ان يبقى الجمع للمجانسة مع الحوانيت والملاهي ولكن الشاعر اراد ان يكون امينا في نقل الحقائق فان الدولة العثمانية في اواخر أيامها قد جعلت جانباً من المستنصرية مخزناً للفحم أما ان تشغل الملاهي بعض جوانبها فلعل ذلك من فروض القافية أو لعله أراد بعض المقاهي القريبة منها او فيما حولها .

٩ـ أغل فلا اسقى من الماء شربة

ودجلة تجري بالنمير أماميا

هكذا كانت تقول المستنصرية في بعض ما تقول أو هكذا اراد لها الشاعر ان تتكلم على طريقة التشخيص . ثم فكر في فعل (أغل) مضارع (غل) المبني لما لم يسم فاعله وهو بمعنى : اشتداد العطش فرآه يحتمل قراءة أخرى تغير معناه عند من لم يعرفه لذلك عدل عنه في الديوان الى فعل (أصدى) وقد اضطره هذا الصنيع الى استعمال واو العطف ليستقيم له الوزن فقال : (وأصدى) وقد ذكرنا بهذا الصنيع اسلوب المتنبي في قوله :

وأصدى فلا ابدي الى الماء حاجة

وللشمس فوق اليعملات لعاب

ولما لم يجد الزهاوي في الابيات السابقة مضارعاً يعطف عليه اضطر الى نظم بيت جديد لم يكن في الكلم المنظوم فقال على لسان المستنصرية :

أبيت بلا ضوءٍ ينير دجنتي
ويدفع عني وحشتي وظلاميا
وأصدى فلا أسقى من الماء شربة
ودجلة تجري بالنمير أماميا
١٠- فياليتني كنت امحوت بأجمعي
ولا كان في حالي كذا الذل باديا

والبيت مضطرب ركيك البناء وقد صار في الديوان هكذا :

فياليتني كنت اندرست بأجمعي
ولا كان ذلي هكذا اليوم باديا

والبناء الجديد اقوم من سابقه .

١١- كما انه اختي النظامية امحت
ولم يبق من آثارها الدهر باقيا

وهذا البيت أوهى من البيت المتقدم ولا سيا شطره الأول الـذي يبدو دون مستوى الشطر الثاني بكثير وإن كان هذا الثاني من الاساليب الموروثة ، وقد لاحظ الشاعر ذلك وربما استوقفه ضمير الشأن في بداية البيت فبدل وغير فجاء الشطر الاول في الديوان هكذا :

كما قد عرا أختي النظامية الردى
ولم يبق من آثارها اليوم باقيا

ولكنه مع هذا التغيير لم يرتفع بأسلوب الشطر الى مستوى رفيقه .

القصيدة العاشرة : (١٥)

(سليمى ودجلة) وقد نظمها في سنة ١٩٠٦ م وهي من الشعر القصصي ذي المحتوى الجيد ولكن اسلوبها مفكك وبناءها مضطرب مهزوز وفي تعابيرها إسفاف مفرط يكاد يدنيها من الشعر العامي المبتذل لذلك شمل التغيير والتبديل كثيراً من ابياتها، ولم تقتصر هذه الظاهرة على المفردة الواحدة او الاثنتين بل تجاوزت ذلك الى الشطر أوالبيت برمته وكان على الشاعر ان يبقيها على بنائها القديم أو أن ينظم قصيدة أخرى في هذه القصة التي اعجبته .

أما الابيات التي تناولها التغيير فهي :

١- أمير على جند ببغداد يذكر
يقال له التركي ذو الطيش (جعفر)

وهذا مطلع القصيدة وقد غيره في الديوان تغييراً شاملاسوى الاسم فقال:

لقد كان في بغداد للشؤم يأمر
على فرقة من فيلق الترك جعفر

وفي التغيير قدر من التماسك في الاداء قد يرتفع بالبيت عن شكله السابق

---

(١٥) الكلم المنظوم ٦٦ ـ ٧٠ والديوان ٨٧ ـ ٩٠ ، ويراجع اللباب ص ٢ ففيه بيتان منها .

ولو انه قال : ينهى ويأمر ـ في الشطر الأول ـ لاستراح من عبارة (للشؤم) الركيكة القلقة وان كانت ذات دلالة في المعنى ولكنه طابق بين النهى والأمر في البيت الذي يلي هذا البيت فاضطر الى كلمة (الشؤم) هنا .

٢ـ له زوجة تدعى زليخا ركونه
إليها كثير فهي تنهي وتأمر

وهذا هو البيت الثاني من القصيدة وقد صار شطره الأول في الديوان هكذا :

وكانت لـه زوج وكان ركونـه
اليهـا كثيراً فهي تنهى وتأمر

والتغيير جيد ولكن الشاعر حرص على اسـم المرأة الذي أفلت منه في التغيير فنظم بيتاً جديدا لم يكن في الكلم المنظوم لتكون (زليخا) كما هي في القصيدة فقال :

تسمى (زليخا) وهي شمطاء فظة
من الناس طرا بالقساوة تذكر

وليس في هذا البيت شموخ ومتانة وانما هو دليل على بقاء الزهاوي في مكانه من اللغة والشعر بحيث لم يتطور في شيء من هذين .

٣ـ وكان له من تلك بنت جميلة
يقـال لهـا فيما أتاني (دلبـر)

هكذا كان الزهاوي ينظم ولكنه تناول الشطرين بالتغيير فقال :

وكانت له منها فتـــاة جميلة
قد اشتهرت واسم الجميلة (دلبر)

والشكلان لا يتفاوتان في الركة والضعف .

٤ـ مهفهفة رود كأن قوامهـــا
قضيب من الليمون ريان مزهر

وهذه المهفهفة ليست (دلبر) وإنما هي الجارية الشركسية (سليمى) كما سماها الشاعر فى بيت سابق والتشبيـه جـديد في كلمة (الليمون) وكان القدماء يشبهون القـوام بغصن (البان) وهل كان الليمون أحسـن اعتدالا ورشاقة من البان ؟ . ثم تبدلت عبارة (ريان مزهر) فى الديوان الى عبـارة (غض منور) ولا فرق بين القديمة والجديدة فكلتاهما رقيقة تناسب هذا التشبيه .

٥ـ لها نظر كالسيف ماض غراره
ووجـــه كمثل الزهر زاه منور

ولا شـك ان التغيير في البيت السابق يستلزم الايطـــاء في القـافية فقد استعملت كلمة (منور) قافيـة هناك ومن ثم يجب التبديل فى هـــذا البيت واستعمال قافية أخرى فجاء في الديوان هكذا :

لها نظر كالسيف ماض غـــراره
ووجه كمثل الزهر أوهو أزهر

وليس في التبديل سوى نقل قافية الثاني الى الاول وقافية الاول الى الثاني ولكنها من اسم الفاعل الى اسم التفضيل .

٦ـ تكاه بفرع راق منه غدائر
طـوال اذا ما اسـبلتهن تعثر

وفى الديوان :

تكاد بفرع طـال منه غدائر
ثـلاث اذا ما اسبلتهن تعثر

ولا اظن في التبديل شيئا جديدا اكثر من تحديد عدد الغدائر . ولو ان الشاعر ذو ملكة ومقدرة لعطف الفرع على الوجه فى البيت السابق .

٧ـ فصادف ان البنت (دلبر) زارها
ملثم من الجدرى بالموت ينـذر

وفى الديوان :

وقد جاء ان البنت دلبر نابهـا
عياء من الجدرى بالموت ينـذر

وأثر السرعة في الثاني كأثرها في الاول والركة كما هي من غير فرق .

٨ـ الى حيث لا يرجى مآب لمن به
أقام ، وهل عن مورد الموت مصدر

لقد ماتت (دلبر) بسبب الجدرى ودفنت في « حيث الأكابر تقبر » كما يقول الزهاوي فهي في مكان لامآب لمن أقام فيه وقد ادرك التبديل عبارة : (لمن به) فجاءت في الديوان مكانها عبارة (لراحل) وكان المناسب ان تبقى الأولى ما دام الفعل (أقام) لم يتبدل .

٩ـ وان الذي كانت زليخا تقوله
رثاء لها فوق الذى يتصور

والبيت مهلهل النسج كبقية الأبيات لذلك تناوله الشاعر بالترقيع فقال في الديوان :

وان الذي قاست زليخا من الاسى
على دلبر فوق الذي يتصور

وهذا الجديد فيه تماسك ونهوض لم يكونا في القديم .

١٠ـ ولكن بكاها المستمر وحزنها
على دلبر هل كان يجدي ويثمر

وفي الديوان : (لحزنها)،ويبدو ان الشاعر إنما بدل هنافانتقل من العطف الى الجر بلام التعليل لتلافي القاعدة النحوية التي تقضى بمطابقة الضمير لصاحبه فالبكاء والحزن اثنان والضمير في (كان) و (يجدى) و (يثمر) مفرد وبذلك فقدت المطابقة واختلت القاعدة .

١١ـ فإن زليخا كلما نظرت لها
أحست بنار فى الجوانح تسعر

وفي الديوان : (كلما بصرت بها)، ولعله تجنب اللام فغير الفعل (نظر) لانه يتعدى بنفسه وبحرف الجر (الى) واذا صح هذا فانه على وهم لأن اللام تقوم مقام (الى) في هذا المكان .

١٢ـ وترفسها فى الصدر عند لقائها
وتوجع ضربا بالعصا وهى تصبر

وفي الديوان :

وترفسها من غير ذنب برجلها
وتوجع ضربا بالعصا وهي تصبر

لا بأس بالتغيير ففيه قيد يدعم المعنى ، ويهب الصورة لونا من الأسى على تلك الجارية التي كانت تضرب من غير ذنب .

١٣ـ لقد أشفق الخدام في الدار كلهم
عليها ولكن من على المنع يجسر ؟

وفي الديوان : (القصر) بدلا من (الدار) . ويظهر ان الشاعر ادرك في المفردة الاولى ضعف المتاسبة فالقائد لايسكن دار اكبقية الناس وانما يسكن قصراً .

١٤ـ أبت ان تراها كل يوم جميلة
ودلبر يبلى جسمها ويبعثر

وفي الديوان تبدل الشطر الثاني فجاء البيت هكذا :

أبت ان تراها كل يوم جميلة
ودلبر تبلى في التراب وتدثر

ولعل الشاعر رأى في فعل (يبعثر)ضيقا في التعبير ، وكيف يبعثر الجسم وقد بلى في القبر ؟ ولا يمكن ان تمتد اليه الايدي فتبعثره ، ولعله لم يلتفت الى الآية : (واذا القبور بعثرت) او انه التفت اليها ولكنه لم يجد في زمنها ما ينسجم مع الصورة التي يريدها ، وربما كان لا يؤمن ببعثرة القبور التي

اشارت اليها الآية لذلك بدل في المفردات ولكن القافية الجديدة متنافرة الحروف :

١٥ـ تموت بريعان الشبيبة بنتها
وتحيا سليمى في محاسن تشهر

وتبدلت القافية فصارت (تكثر) ولكن الركة باقية والشطر ضعيف النسج :

١٦ـ تقول ألا ليت المنايا ترفقت
بدلبر واحتلت بمن تفخير

وفي الديوان : (تجنبت) . بدل ترفقت ، و : (فتاني) بدل : دلبر ، ولا جديد في التبديل ،

١٧ـ وهل ذنب هذا الدهر إذ غال دلبراً
وأبقى سليمى بالحياة يكدّر ؟

وفي الديوان : (في الحيـــاة) والباء تأتي للظرف مثل (في) ولكن الجديدة افضل :

١٨ـ حياة سليمى بعد ميتة دلبر
يعد من الذنب الذي ليس يغفر

وقد تبدل معظم الشطر الثاني في الديوان فصار :

حياة سليمى بعـــد ميتة دلبر
من الدهر ذنب فادح ليس يغفر

ولعل الشاعر تلافى عـودة الضمير في فعـل (يعد) فاله يرجع الى الحياة فكان عليه ان يقول : (تعد) . ثم عبارة : (من الـذنب) والذنب مفرد لا يتجزأ حتى تكون حياة سليمى بعضا منه لذلك لجأ الى هذا الترميم الذي لم ينهض بأي شيء من سلامة التركيب .

١٩ـ أظن بأن الموت قد كان قاصدا

سليمى فقالـت : إنني أنـا دلبر

وفى الديوان : وظنى ان الموت . . . ولعله تجنب تعدية الفعل (ظن) بالباء وهو يتعدى بنفسه ولا ضير من تعديته بالباء .

٢٠ـ أشوه وجها منك قد طالما به

فتنت عيونا فى جمـالك تبهـر

وهذا البيت من النماذج الضعيفة وبخاصة قوله : قد طالما . وقوله : في جمالك تبهر . وهو يريد انها طالما فتنت عيونا تنبهر بجمالها . وقد لاحظ هبوط الألفاظ وتخلخلها فبدل بعض المفردات وغير البيت كما يأتي :

اشوه وجها طالمـا بجماله

فتنت عيونا نحو وجهك تنظر

ولم يحدث التبديل شيئا جديدا فقد بقى البيت على ركته وضعف تراكيبه ولا سيما الفصل بين (ما) المصدرية فى (طالما) وبين صلتها : (فتنت) :

٢١ـ فيصبح منك الحسن قد صار وجهه

دميمـا ومنه الناس أجمـع تسخر

وهذا كسابقه في الركة فقد تحول الحسن الى السان وصار له وجه دميم وقد ادرك الشاعر هذا التكلف فبدل بعض المفردات وقال :

فيصبح منك الوجه قد زال حسنه
جميعا ومنه الناس أجمع تسخر

ولكن الركة باقية فيه .

٢٢ـ وصاحت بهم ان قيدوها فمددت
على الارض كالشاة التى هى تجزر

وفي الديوان :

وصاحت بخدام لديها فجندلوا
سليمى كشاة بالقساوة تجزر

والبيت في صورته الجديدة أوهى بناء من الشكل القديم وهذا يؤكد لنا ان الزهاوي لم يتطور في لغته ولم يفكر في تطويرها .

٢٣ـ وقصت كذا الأهداب منها وحلّقت
حواجب زجّا راق منهنّ منظر

وفي الديوان : (ونتفت الأهداب) ... وهو ترميم ليس فيه نهوض سوى انه اراح البيت من (كذا) .

٢٤ـ سمعت أنينا فى دجى الليل راعنى
وهلّ به روع الملائك اكبر

وفي الديوان والباب : سمعت عويلا ... وهذا التبديل ينسجم مع الروع فالانين لا يثير الروع كما يثيره العويل ولكن الشاعر ابقى الشطر الثاني على علته النحوية فقد فصل بين (لعل) ومعموليها بالجار والمجرور وهو من اضعف الاساليب وقد مرت الاشارة الى مثل هذا عند الزهاوي في مدخل الدراسة .

٢٥ـ وتكررت لفظة الانين في البيت الذي يلي السابق فجاءت مكانها كلمة (العويل) أيضا .

٢٦ـ سليمى رقت في سطحها بعد هجمة
من الناس في الاطراف والليل مقمر

وفي الديوان : (ارتقت)، وكأن هذه المفردة وحدها موطن الضعف وليس البيت كله !! .

٢٧ـ ولكنني لا أهتدي لطريقه
فهل من دليل لي لدى الله يؤجر

وفي الديوان : (لسبيله) مكان : لطريقه ؟ .

٢٨ـ اذا ظفرت بي بعده يد سيدي
فان (زليخا) من عذابي تكثر

وفي الديوان : (عنده) بدل (بعده) . وهو مناسب للغاب الذي ارادت ان تهرب اليه (سليمى) او كان في بغداد غاب ؟ .

٢٩ـ أموت بلى إني أموت وإنه
نجاتي التي ما زلت فيها افكر

وصار الشطر الأول في الديوان هكذا :

أموت أجل انى أموت ففى الردى . . . .

وانتقاله من (بلى) الى (اجل) عمل سليم بل هو أسلم لأن (بلى)حرف جواب يقع بعد النفي المسبوق باستفهام . اما التغيير الثاني ففيه توضيح وفرار من الضمير (انه) الذي قد يكون ضمير شأن لا ضرورة له أو أنه يعود الى الموت المفهوم من الفعلين السابقين .

٣٠ـ وبعد البكا جازى الأله بعداه
بيـوتا بايقاع الجرائر تعمـر
رمت نفسها فى دجلة فاختفت بها . . . .

والظرف (بعد) في البيت الاول متعلق بالفعل المتأخر (رمت) وما بينهما حشو معترض ثم جاء في الديوان : (وبعد ثذ جازى الأله) وهو تغيير لا ينهض بشيء جديد .

٣١ـ ترى زهرة قد اعجب العين لونها
وطـار بعيـدا عرفهـا المتعطـر

وفي الديوان :

ترى زهرة قد اعجب العين لونها
وفاح لها فى الروض عرف معطر

والصورة الجديدة في الشطر الثانى أجمل من الأولى .

٣٢- وينشأ عصفور يروقك ريشه

يغرد في عـالي الغصون ويصـفر

وصار الشطر الأول في الديوان هكذا :

وتبصر عصفورا تزين ريشه . . . .

واذا كان الانتقال من (ينشأ) الى (تبصر) عملا مناسبا فما بقي من التبديل ليس بأفضل من السابق .

٣٣- ومما يسلّي النفس في الدهر علمها

بأن بقـاء الشـيء لا يتيسـر

وفي الديوان : (منى) بدل (في الدهر) والتغيير جيد :

٣٤- ولم تكن الاشياء تفنى وإنما

الى صـورة من غيرها تتغير

هذه نظرية التناسخ وقد قال بها القدماء ولا شأن لنا بهذه النظرية التي ختم بها الشاعر قصيدته وإنما يعنينا ما حدث من التبديل في الشـطر الثاني فقد جاء في الديوان مع صاحبه هكذا :

ولم تكن الاشياء تفنى وإنمـا

الى صورة من صورة تتغيـر

وقد لجأ الى هذا التبديل فرارا من المغايرة التي تكررت في البناء السابق .

القصيدة الحادية عشرة (١٦)

(الظلم يقتلنا والعدل يحيينا) وقد نظمها في سنة ١٩٠٦ م وهي من الشعر السياسي الثائر على الاستبداد وقد تخللها شيء من الجودة في الاداء والصياغة لذلك لم يتناول التبديل سوى سبعة أبيات منها وهي :

١ـ تأن في الظلم تخفيفا وتهوينا
فالظلم يقتلنا و العدل يحيينا

وهذا اول القصيدة وقد حدث التغيير في للشطر الاول فصار في الديوان كما يأتي :

خفف من الظلم إبقاء و تهوينا ....

وهو تغيير لا بأس به :

٢ـ يامالكاً أمر هذي الناس في يده
عامل برفقٍ رعاياك المساكينا

ثم تغير الشطر الاول من هذا البيت فكان هكذا :

يامالك الامر إن الناس قد ضجروا ...

---

(١٦) الكلم ٧٠ ــ ٧٣ . والديوان ٢٨٥ ــ ٢٨٦، واللباب ١٤ وفيه أبيات قليلة منها .

قد يكون الشاعر أراد تجنب الضعف الذي نشأ من استعمال اسم الأشارة (هذى) وهو جائز ومن الحشو :(في يده) فبدل الشطر ولكنه فك الرباط بين الشطرين فقد كان جواب النداء فى البناء الاول فعل الامر (عامل) وما بينهما معمول اسم للفاعل (مالكاً) أو جملة اسمية ، أما في البناء الثاني فان الجواب جملة : (ان الناس قد ضجروا) وهذا الصنيع يستحسن معه مجيء فاء الربط مع فعل الامر (عامل) لأنه على نية تقدير شرط ولكن الفاء لا يقبلها الوزن ، ولو انه استعمل اسم الاشارة (هذا) بدل (هذي) لصح له التعبير ولم يلجأ الى هذا التبديل الذي أضعف الصلة بين الشطرين فإنه يقال : هذا الناس حملا على اللفظ لا على المعنى لانه من أسماء الجموع ، قال المتنبي :

غيري بأكثر هذا الناس ينخدعُ

إن قاتلوا جبنوا أو حدثوا شجعوا(١٧)

× × ×

٣- ليست طريقك محموداً مغبتها

غيّر إذا شئت فى الاحوال تحسينا

وفى الديوان حدث تغيير في الشطر الثاني فكان مع صاحبه هكذا :

ليست طريقك محموداً مغبّتها

فابدله إن شئت فى الاحوال تحسينا

ومجيء الفاء في أول الشطر الثاني عمل جيد في مثل هذا التركيب وقد سماها بعضهم الفاء الرابطة لشرط مقدر وهي التي أشرنا اليها فى البيت السابق :

أما استعمال الفعل الثلاثي مكان الرباعي (أبدل) فجائز ولكنه قليل ،

---

(١٧) انظر ديوان المتنبى شرح العكبري — المصدر السابق - ٢/٢٢١)

وما بقي لنا من الوقوف عند هذا البيت لا يعدو مافى شطره الأول من تجوز فان الشاعر أنث الطريق بالتاء التي مع (ليس) ثم جاء بخبر ليس مذكراً وهو اسم المفعول (محمود) ونائب فاعله مؤنث وهو (مغبة) ولو كان مذكراً لسلم التركيب من الضعف كأن نقول : ليست الحروب محموداً مثيرها ، والذي سوغ للشاعر هذا الاستعمال كون (مغبة) مؤنثاً مجازيا يجوز معه حذف التاء .

٤- ان الرعية أغنام يحد لهم
عمالك المستبدون السكاكينا

وفي الديوان : (لها) بدل : لهم ، لان الضمير يعود على الرعية فنظر الى اللفظ وإن كانت مراعاة المعنى جائزة أو انه اراد بالجملة وصف الاغنام فأنث الضمير ولكنه عاد في اللباب الى ضمير الجمع كما كان في الكلم . وغير فى الشطر الثاني كلمة (عمال) بكلمة (ولاة) وهو تغيير يناسب العصر والتسمية المعروفة فى الدولة .

٥ . ياشمس لا تشرقى بالنور أوجهنا
فذاك يملأ غيظاً قلب والينا

وبقى البيت في الديوان على شكله ولكن الشاعر أدرك فيا بعد ان الفعل (أشرق) لايتعدى بنفسه الى مفعول فغير التعبير فى اللباب الى قوله :

يا شمس لا تشرقى صبحاً بأوجهنا ....

× × ×

٦- يا عدل من كان محبوباً محاسنه
ما هكذا يصرم القوم المحبينا

وهو في الديوان كما هو في الكلم ولكن (محاسنه) تغيرت في اللباب الى (شمائله).

٧- ماجاءنا الشر إلا من تهاوننا
ما عمنا الظلم إلا من تغاضينا

وفي اللباب وليس في الديوان عطف الشطر الثاني بالواو على الشطر الاول فراراً من تكرار (ما) النافية .

القصيدة الثانية عشرة : (١٨)

(الى فزان) وهي من الشعر القصصي وقد نظمها في سنة ١٩٠٦م ولكنها لم ترتفع بأية حال في اطارها العام وأدائها عن قصائده القصصية الاخرى فان السرعة التي كانت ترافق تسجيل الصور والافكار فيها لم تدعه يفكر في الصيغ والالفاظ التي كان يغترفها من جدول ضحل وحسبنا من هذه القصيدة ان نلم بما حدث فيها من تغيير وتبديل وذلك في الابيات التالية :

١- شتاءٌ وريح في دجى الليل زعزع
تكاد بها جدر المنازل تقلعُ

وهذا مطلع القصيدة وقد حدث التغيير في شطره الثاني فتحول الفعل (تكاد) الى (يكاد) لان كلمة (جدر) تحولت الى (سقف) ويخيل إلي ان الشاعر فر من كلمة (جدر) - وهي جمع فصيح لجدار - لسببين أولهما لفظي يرجع الى المفردة نفسها فقد سكنت الدال منها لضرورة الوزن وهو جائز في الشعر . وثانيهما معنوي يعود الى فعل الريح العاصفة فلعلها كانت في رأيه إنما تبدأ بالسقوف - إذا نظرنا الى التغيير - ولكن تغييره هذا أضاع الانسجام بين المفردات في معانيها فجعل للمنازل - وهي جمع - سقفاً واحداً لذلك كانت المفردة القديمة أفضل من الجديدة في الحفاظ على الانسجام .

(١٨) الكلم ٧٣ — ٧٧ . والديوان ٩٠ — ٩٣ .

٢ـ فقد سمعت فى ليلة مثل هذه
الى الباب (سعدى) انه كان يقرع

وفي الديوان : (لقد) ولعله فر من الفاء الى اللام ـ مع ان البيت الثالث يبدأ بعبارة (لقد) ـ لأن الفاء لا ضرورة لها ولأنها جاءت عاطفة فى اول البيت السادس الذي يلي هذا ، وكان على الشاعر ان ينظر فى تركيب البيت كله ليصلح من شأنه .

٣ـ فقالت ـ وفى القلب اضطراب لزوجها
(نديم) ـ وقيت الحادثات أتسمع ؟

اراد : فقالت لزوجها ما قالته وهي مضطربة القلب . وفي الديوان جاء الشطر الاول هكذا :

فقالت ـ ومنها الخوف باد لزوجها . . . .

وليس في التغيير ما ينهض بالبيت ان لم يكن قد ازداد اضطرابا .

٤ـ فسر معنا واحضر لديه معجلا
خطاك فما فى الوقت فضل يضيع

وفي الديوان : (إليه) مكان : (لديه) والقديمة أفضل من الجديدة وقد جاءت في الآية : « وإن كل لما جميع لدينا محضرون »(١٩)

٥ـ فقالت لسعدى : إنني بعد ساعة
الى البيت ـ لا تخشين شيئا ـ سأرجع

(١٩) سورة يس الآية ٣٢

ثم تنبه الشاعر أو نبهه من له معرفة بالنحو الى ان في الشطر الثاني خطأ في القاعدة النحوية وان (لا) ناهية تجزم المضارع فبدل الشطر الى مايأتي :

فقالت لسعدى : إنني بعد ساعة
إليك - فلا تخشَيْ عليَّ - سأرجع

× × ×

٦- على كل حال فاطّلابي بليلة
تهولُ كهذي غير ما أتوقع

وفي الديوان : (فانتزاعي) بدل : فاطلابي ، ولا بأس بالتغيير ولكن الجديدة قلقة ايضاً .

٧- فجاوبه والقلب للخوف راجف
وقال بصوتٍ خافت يتقطعُ

ثم جاء في الديوان بكلمة : (واجف) بدل (راجف) ونقل كلمة (راجف) فوضعها مكان (خافت) وكأنه قد أعجب بهـذا الجناس الناقص الذي نشأ من التغيير.

٨- فديتك ماهذا صحيحا وانه
لمـّا افتراه المرجفون و أبدعوا

ولعله رأى من غير المناسب ان يضع (لديماً) في موضع الضعيف امام رئيس الشرطة فغير عبارة (فديتك) وجعل مكانها (وربك) وليؤكد بالقسم.

٩- ولو شئت أحضرت الشهود فربما
إذا أبصروا مابي عن الزور اقلعوا

وفي الديوان تغير الشطر الثاني في بعض مفرداته فكان البيت هكذا :

ولو شئت أحضرت الشهود فربما

اذا أبصروا مابي من الضر أقلعوا

وفي الاول صراحة تتهم الشهود بالزور ، وفي الثاني تعمية فلعله أراد الاقلاع عن الشهادة أية كانت فتلطف بالتعبير أو لعله رأى الذل شيئاً كثيراً على نديم فغيره الى الضر ، ولكن البيت بقي على ضعفه ولاسيما قوله : (فربما إذا) .

١٠ـ فلي زوجة في البيت تحيا وأمها

وطفل صغير السن ما زال يرضع

وفي الديوان :

فلي في مقر الدار زوج وأمها

وطفل صغير لم يزل بعد يرضعُ

(مقر) في الشطر الاول و (بعد) في الشطر الثاني حشوان هبطا بالبيت من ضعف الى ضعف ، ولعل الشاعر تجنب عطف الام في البناء الاول على ضمير الرفع المستتر من غير ان يؤكد بضمير بارز كما تقتضي القاعدة النحوية ، وكان من الممكن جعل (الواو) للمعية ونصب الأم اما (طفل) فمعطوف على (زوجة) ولا ضرورة لهذا التغيير الركيك .

١١ـ فقيد باذلال وأركب بغلة

تساق شديداً وهو يبكى ويجزع

وفي الديوان :

فاركب بعد السجن في الصبح بغلة

تساق حثيثا وهو يبكى ويجزع

واذا كان التغيير في الشطر الثاني منسجما مع الفعل (تساق) فان التغيير في الشطر الاول هبوط وتهافت .

١٢ـ مضت ساعة من بعد أخرى مخوفة
ولكن نديم ليس للبيت يرجع

وفي الديوان (الدار) مكان : (البيت) وكأن هذه المفردة وحدها تحتاج الى التبديل وكأن الشطر برمته لم يكن مفكك الشكل والمعنى !! .

١٣ـ وما طلب الوالى نديماً وماله
لعمرك فى أمر الحكومة اصبع

وفي الديوان : (شأن) بدل : (أمر) وهو تغيير مناسب .

١٤ـ وإن فؤادي آه ياأم فاعلمى
يكاد عليه بالأسى يتصدع

وفي الديوان : (أوه) بدل : (آه) وكلتا المفردتين من الحشو الذي قد يلجأ اليه الاديب في النثر العاطفي واذا جاز ذلك ففي القصص والمسرحيات وعلى لسان المرأة بتعبير أدق . وقد يغتفر هذا للزهاوي لأن القصيدة قصصية ولأن البيت على لسان المرأة ولكن المفردة قلقة في هذا المكان فلم يضعها في موضع مناسب كما وضعها المتنبي في قوله :

أوه بديل من قولتى واها
لمن نأت والبديل ذكراها

أوه لمن لا أرى محاسنها
وأصل واها وأوه مرآها(٢٠)

وأين الزهاوي من ذلك الشاعر العملاق ؟

١٥ـ فلما استبان الصبح جاء لبيتها
شفيق من الجيران عيناه تدمع

وفي الديوان :

فلما أضاء الصبح جاء مخبرا
شفيق من الجيران والعين تدمع

لا بأس بفعل (أضاء) ولا بأس بتبديل : (لبيتها) لأن حرف الجر (إلى) انسب مع الفعل (جاء) من اللام ، أما التحويل من تثنية العين الى إفرادها فلا ضرورة له وربما توهم الشاعر أو توهم ناقدوه - آنذاك - ان المطابقة واجبة وان عليه ان يقول : عيناه تدمعان : وليس الأمر كذلك فالعينان مشتركتان في فعل واحد من رؤية أو بكاء أو نوم والاخبار عنهما بالافراد جائز ، قال المتنبي :

حشاى على جمر ذكى من الهوى
وعيناى في روض من الحسن ترتع(٢١)

---

(٢٠) العرف الطيب في شرح ديوان ابي الطيب لليازجي ص ٥٨٤ المطبعة الادبية - بيروت - ١٨٨٧ م

(٢١) انظر ديوان المتنبي شرح العكبري ٢/٢٣٥ - ٢٣٦ في توجيه هذا البيت .

١٦ـ فأخبر سعدى أنه سيق زوجها
لفزان منفيا فما فيه مطمع

وفر الشاعر من ضمير الشأن في قوله : (أنه) وطالما اتكأ عليه فغير التعبير في الديوان الى قوله :

فأخبر سعدى أن قد استيق زوجها . . . .

ولكن هذا التبديل الجأه الى فعل ثقيل الاستعمال .

١٧ـ فصاحت لنفسي الويل مما أصابني
لقد كان واحراه ما منه أفزع

وفي الديوان : (كنت) بدل (منه) في الشطر الثاني ، والجديدة دليل الضعف والركة لان عائد الصلة قد فقد لفظا وتقديرا بهذا التغيير ولا دليل عليه فلا معنى للتركيب الجديد .

١٨ـ وتدعو بحر يا نديم وقلبها
يكاد لداعي ما به يتقطع

وفي الديوان :

تصيح وتدعو يا نديم وقلبها
يكاد لآلام به يتقطع

وقد كان فرار الشاعر من قوله : (بحر) وقوله : (لداعي) فراراً حسنا فقد أراد أن يقول : بحرارة ـ كما يعبر المحدثون ـ ولكن ضاق به الوزن فلجأ الى التعبير الضعيف ، أما عبارة (لداعي) في الشطر الثاني فانها من التعابير المبتذلة . ولكن (لآلام) الجديدة هي الاخرى ركيكة قلقة ،

١٩ـ قد استسهلوا نفي امرىء وليسائلوا

فؤادي عن الهم الذي يتجرع

وفي الديوان : (ليسألوا) -بكسر لام الامر - و (أتجرع) ولم أجد في التصويب شيئاً عن العبارة الاولى فاذا كان هذا قصد الشاعر فان ما في الكلم المنظوم أصح مما في الديوان لان لام الامر تسكن اذا سبقها حـــرف عطف وعليها جرى الاسلوب العربي . أما (أتجرع) ففيه انتقال من ضمير الفؤاد الى ضمير المتكلم ولا ضير من العبارة الاولى ٥

٢٠ـ فمن ذا وقد أقصوك عنا يعيشنا

ومن ذابه من ذابه الجوع ندفع

وفي الديوان :

فمن ذا وقد أقصوك عنا يعولنا

ومن ذابه عنا الطوارىء ندفع

والتغيير جيد في الشطرين ولا سيما الشطر الأول فان عبارة (يعولنـــا) أمتن وأنسب من القديمة المتبذلة .

٢١ـ تصاحبني في البيت أمي فإن أبت

يصاحبني فيـــه الحنين المرجـــع

وفي الديوان جاءت كلمة (الدار) مكان (البيت) وكلمـة (الأنين) مكان (الحنين) وليس في التبديل من أثر بارز في الأداء والمعنى الا بما توحيه كلمة (الأنين) من توجع وتفجع وقد توحي بهما كلمة (الحنين) وإن كانت في الادكار والاسترجاع أقوى منها في هذين لأنهـا قد تكون من طرب كما تكون من حزن .

٢٢ـ وهل نافعي تشييعه بمدامعي
اذا كنت فيما بعد ذلك أرجـع

وجاءت عبارة (فى رحيله) بـدل عبارة : (بمدا معى) ولعـله اراد المقابلة بين الرحيل والرجوع .

٢٣ـ ولكننى سارعت أقتص إثره
وأمشـي وراء الظاعنين أشيّع

وفي الديوان جاء الشطر الأول هكذا :

ولكننى أقتص آثار خطوه . . . .

وكلاهما من معنى واحد سوى الفرار من فعل (سارعت) الذي لا ينسجم مع أفعال المضارعة المتتالية فى هذا البيت وما بعده أما ان الشاعر أخذ الشطر الثاني من قول المتنبي :

حشاشة نفس ودعت يوم ودعوا
فـلم أدر أىّ الظاعنين أشيع (٢٢)

فذلك لون آخر من ألوان النقد .

٢٤ـ وبعد قليل من تغرب زوجها
ألمت بها حمّى تهد وتصـرع

وتطور الشطر الأول في الديوان من ضعف الى ضعف فجاء هكذا :

وبعد قليل مرّ من نفى زوجها . . . .

---

(٢٢) انظر المصدر السابق ٢/٢٣٥ .

القصيدة الثالثة عشرة :(٢٣)

(مقتل ليلى والربيع) وهي من الشعر القصصي أيضا وقد نظمها في سنة ١٩٠٦ م وليس فيها من الشعر سوى ما احتوته من صور ومعان فيها شيء من الجدة أما أسلوبها فقد بدأ بداية جيدة ثم تهافت مسفا الى ما دون الوسط ، وهذه صور التغيير التي حدثت فيها :

١- ليلى وترباها سعاد وزينب
يمرحن في زهو على الكثبان

ثم غير في الشطر الثاني بعض المفردات فجاء في الديوان :

ليلى وترباها سعاد وزينب
يمرحن فوق مناكب الكثبان

ولم يحدث في هذا التغيير سوى التنافر بين الحروف المتقاربة في مخارجها فتكرار الكاف والباء لا ضرورة له مع استقامة التركيب الأول .

٢- متلاعبات فوق هاتيك الربى
وشعابها كتلاعب الغزلان

وفي الديوان : (أذيال) بدل (هاتيك) في الشطر الأول ، ولو انه استعان بكلمة (بين) بدل (فوق) لكان افضل مما صار اليه في التغيير السابق .

---

(٢٣) الكلم ٧٧ - ٨٢ والديوان ٩٣ - ٩٧ . واللباب ص ٣ ،

٣ـ يلحهن فى احنائها بتمايل
مشى القطـا الكدرى للغـدران

وقد تغير الشطر الأول برمته في الديوان تغييراً جيدا فجاء هكذا :

يمشين فى مـــرح على أعشابها
مشى القطـــار الكدرى للغدران

وفى هذا التغيير تناسب بين (مشى) وبين عامله في الشطر الأول :

٤ـ فرأوا نساء كالمهـا مـا حولها
حامٍ بأخـلى موقـع ومكان

وحدث التغيير في الشطرين معاً فكانا كما يأتى :

فرأوا نساء كالمها من غيرما
حامٍ بأبعد موضـع ومكـان

وهو تغيير لا بأس به فليس في كلمة (أخلى) من رقة وشاعرية .

٥ـ طمعت نفوسهم بهن فهاجموا
مثل الذئاب تعيث فى الحملان

وفي الديوان :

فأثارهم طمع هناك فهاجموا . . . .

والبيت على ركتـه لم يرتفع بالتغيير الــذي حـدث في الشطر الأول بل ازداد ركة .

٦ـ فعلا الصراخ من النساء وراعها
أن ليس ثمـت من نصيــر دان

وفي الديوان وهو تغيير جيد :

فعلا الصراخ وزادهن مخافة . . . .

ولعله انما غير في الشطر الاول ليتلافى ضمير النسوة الذي كان مفردا في الصياغة الأولى .

٧- هال المقام فؤاد ليلى فاختفت

في ظهر زينب وهي في رجفان

وفي الديوان : (راع) مكان (هال) ولا فرق بينهما ، وبقيت عبارة (في ظهر) حيث هي وكانت اولى بالتغيير من سواها :

٨- تعطو العيون الى السماء كأنها

ترجو نزول مفرج رباني

وفي الديوان : (ترنو) بدل : (تعطو) وهو تغيير مناسب اذ لا مكان للعطو هنا . و (هبوط) مكان (نزول) وهو تبديل لا بأس به وان كانت الاولى جيدة .

٩- وإذا غبار نحوهم متوجه

يدنو كزوبعة بدون توانى

وفي الديوان :

واذا بنقع ثائر من جنبهم

يدنو كزوبعة بغير توانى

والركة كما هي ان لم تكن قد ازدادت باستعمال عبارة (من جنبهم) في الشطر الاول .

١٠ـ عرفوا تقرب فارس فتوقفوا

كي يعلموا من جاء في ذا الآن

وهذا البيت يثير السخرية بركته وتفاهة تركيبه لذلك تغير برمته في الديوان فكان هكذا :

ورأوا هنالك فارسا فإذا به

فرد أتى يعدو بلا أعوان

والفرق ليس بكثير بين الشكلين .

١١ـ فهدأن بعد مخافة رجافة

لمجيئه وركعن للرحمن

رجافة !! هكذا كان ينظم الزهاوي ، و (ركعن) والناس كانوا يعبرون بالسجود في مثل هذه المواقف !! ثم تغير البيت سوى اوله وآخره فصار الى ما يأتي :

فهدأن عند وصوله في وقته

وشكرن بعد الخوف للرحمن

ولم يرتفع عن ركته وابتذال الكثير من الفاظه .

١٢ـ فاحمر من غضب وأوقف طرفه

في الوسط يزفر زفرة الغيران

والطرف بكسر الطاء : الفرس . وقد غير في الديوان كلمة (احمر) بكلمة (ازور) وكلمة (الوسط) التي اضطره الوزن الى تسكين سينها فعدل عنها الى كلمة (للقرب) وكلتاهما حشو وان كانت الثانية اسلم .

١٣- واستحقروه إذ رأوه امردا
يزهو وعدّوه من الصبيان

وفي الديوان : (غرا) بدل (يزهو) ولا بأس ولكن الركة باقية في البيت.

١٤- وهوى عليه طاعنا في ظهره
بسنان رمح لان كالثعبان

وفي الديوان : (إليه) بدل (عليه) و (على) اقرب استعمالا من (إلى) هنا فانه يقال : هوت العقاب على الصيد .

١٥- وارتد يفتقد البنات فأطلقا
نارا عليه وليس كالنيران

اراد : يتفقد .. فلم يطاوعه الوزن او لم تسعفه لغته . ولكنه لم يغير سوى كلمة (البنات) فاستبدل بها (النساء) وهو تغيير جيد فاستعمال البنات بمعنى الفتيات عامة استعمال غير دقيق لأن الكلمة تعني من ينتسبن الى جهة واحدة حقيقة او مجازا .

١٦- فخلالها لكن اصابت رمية
ليلى قضت منها ببضع ثواني

وفي الديوان : (لبضع) باللام وهي هنا بمعنى(بعد) ولا ضرورة للتبديل فالباء مناسبة وهي بمعنى (في) .

١٧- فهناك شد بعزمة هيابة
سعد كليث خادر غضبان

وفي الديوان جاء الشطر الأول هكذا :

فهناك شد عليهما بعزيمة

سعد كليث خـادر غضبان

والتغيير مناسب والا فما معنى العزمة التي تهاب ؟ والشجاع يوصف بأنه غير هياب . أأراد الشاعر ان يقول : إن سعدا كان حـذرا حين شد على الرجلين ؟ ان كان ذلك قصده فلا معنى لهيابة .

١٨- فدنا لفرا فاستحث جواده

وهوى هُوِيَّ كواسر العقبان

وفي الديوان : (جوارح) بدل (كواسر) والقديمة أفضل في لغة الشعر.

١٩- حمل الرؤس وسيفه متصبب

علقا وعاد يجيش في غليان

وفي الديوان :

نظر العروس وسيفه متصبب

علقا فظل يجيش في غليان

والبيت في بنائه الاول يتمم مافعله (سعد) في البيت السابق من قتل الرجلين ثم لاحظ الشاعر كلمة (الرؤوس) وليس في المعركة أكثر من رأسين لذلك تدارك المعنى : وتذكر سعد (ليلى) التي قتلها الرجلان فنظر اليها فظل يجيش غضباً أما سيفه فكان يقطر دماً ولكن الشاعر عبر عن هذا المعنى بالعبـارة المعروفة : (يتصبب عرقاً) فكان العرق (علقاً) وهو الدم .

٢٠- لم يدر لما راءها مصروعة

تزهو بأحسن منظر مزدان

و (راءها) لغة في (رآها) . وفي الديوان : (تبدو) بدل (تزهو)

ثم تغير الشطر الثاني في اللباب برمته فجاء هكذا :

لم يدر لما راءها مصروعة

فوق الربيع الغض ذى الالوان

والتغيير جيد ولكن كلمة (فوق) لا تنسجم مع الربيع وهو زمان لا مكان . ولعل الشاعر استعان بمجاز علاقته السببية كما يقول البلاغيون .

٢١ـ أهناك جسم فارقته روحه

أم انها روح بـلا جثمان

وهذا البيت هو مفعول الدراية في البيت السابق ، وفي الديوان حدث تغيير في شطره الثاني فجاء هكذا :

أهناك جسم فارقته روحه

للموت أم روح بلا جثمان

والتغيير يثير الاستغراب فهل كانت الروح تفارق الجسم لغير الموت ؟

ثم حدث تغيير آخر في اللباب تناول الشطر الاول فكان كما يأتي :

أهناك جثمان تناءت روحه

للموت أم روح بلا جثمان

وليس في كل ما غير وبدل سوى التكلف والركة .

٢٢ـ وخمشن وجها صين من مس الاذى

وشـققن جيب الوالـه الثكـلان

وفي الديوان : (لطمن) بدل (خمشن) و (الواجد) بدل (الواله) ولا فرق بين اللطم والخمش ، أما الواجد فلا بأس بها .

٢٣ـ ونشرن شعرا للرزية صاغرا
ولطمن خـدا ذل للحدثان

وفي الديوان : (خمشن) بدل (لطمن) وهذا البيت يلي سابقه مباشرة لذلك حدث هذا النقل بين المفردتين من بيت الى آخر .

٢٤ـ فتقول ويلى بل وويل عشيرتى
للرزء يالبلى وللخسران

وهو فى الديوان كذلك ولكنه في اللباب حدث تغيير فى شطره الاول فكان كما يأتى :

فتقول ويلى ثم ويل عشيرتى . . . .

وكان قصد الشاعر ان يعطف الويل على الويل من غير (بل) فالتجأ الى (ثم) لان الوزن لا يكتفي بالواو وحدها ، وربما فر من التركيب الاول لتكرار الواو .

٢٥ـ فوددت لو أنى مكانك للردى
غرض وأنك عنه كنت مكانى

وفي الديوان :

وودت أنى فى مكانك للردى . . . .

وفى الحالين أراد ان يقول : وودت اني غرض للردى مكانك او في مكانك وليس فى التغيير فرق بين التركيبين لذلك عاد الى التركيب الاول في اللباب سوى (فوددت) فقد أبقى الواو مكان الفاء كما في الديوان .

٢٦ـ قد جاء للعداد مأمور من ال
والى وكيل جلالة السلطان

وفي الديوان :

قد جاء متخذا وظيفته من ال
والى وكيل جلالة السلطان

والبيت في قديمه وجديده من النظم الركيك .

٢٧- ما زال مذ ورد القضاء معددا
مع صاحبين ملازم الدوران

وفي الديوان : (مع حارسين) وهو كبقية الابيات إسفافا وركة.

القصيدة الرابعة عشرة : (٢٤)

(رثاء شوكت بك) وقد نظمهـا في سنة ١٩٠٧م راثيا بهـا صديقا له يسمى (شوكت) وقد مات في طرابلس الغرب . وهي من الشعر الجيد لأن الرثاء في الشعر العراقي لون قديم متسع الأبعاد فمادته من الصـور والمعاني والألفاظ غزيرة وكان الزهاوي نصيب من تلك الصور المعروفة والألفاظ المتداولة ، وقد وقع التبديل في بعض أبياتها لأنه لم ينشـر في الديوان الا مقطعا منها ، أما الأبيات فهي :

١- أخو عز مات ظل طول حياته
على لطفه لا يخلط الجد باللعب

وفي الديوان : (أخا) بالنصب اتباعا لمفعول في بيت سـابق أوله : (تضمنت حرا ..) يريد بالمخاطب الجـدث فكان (أخا) تابعـا لقوله : (حرا) وسبب التغيير أنه حذف بيتين كانا يفصلان بين التابع والمتبوع ، والرفع لا بأس به على الاستئناف :

٢- يزور غمار الحادثات بكله
فيخرج من كرب ويدخل في كرب

وفي الديوان :
يخوض غمار الحادثات مخاطراً ......

---

(٢٤) الكلم ٨٢-٨٣ . والديوان ١٦٤ .

والتغيير جيد مع أنه من الأساليب الموروثة فالغمار تخاض عند الشعراء ولأن عبارة (بكله) ركيكة قلقة .

٣- تكافأ فيما بيننا ثابت الهوى
فلى حبه قد كان يحكى له حبي

وفي الديوان : (لاعج) بدل (ثابت) وكأنه عاد الى الأساليب القديمة .

٤- وقد قضت الايام بالبعد بيننا
فطال على الايام فيما قضت عتبى

وفي الديوان : (لقد) في أول البيت ، و (الأقدار) بدل (الأيام) في الشطرين معا ولا جديد في التغيير سوى الاشارة والتلميح الى الموت الذي فرق بين الصديقين .

٥- أشوكة ما إن عنّ ذكرك خاطرا
بقلبي الا واعترت رجفة قلبي

وفي الديوان :

أشوكة ما إن عنّ ذكرك ساعة
بقلبي إلا فاجأت رجفة قلبي

وخطور الامر للأنسان أو بباله وعلى باله وفي باله انما يكون بعد نسيانه في الغالب لذلك عدل عنه لان النسيان هنا غير مناسب : أما التغيير في الشطر الثاني فربما دفعه اليه بعض معاصريه من الملمين بقواعد النحو لأن جملة الحال المستثناة من عموم الاحوال في قوله : (الا واعترت رجفة ...) يمتنع ربطها بالواو لكون فعلها ماضيا واقعا بعد إلا هذه هي القاعدة المعروفة ولكن بعض النحاة أجاز ذلك اتكاء على قول الشاعر :

نعم امرأ هرمٌ لم تعر نائبة
الا وكان لمرتاع بها وزرا(٢٥)

×××

٦ـ دعتك المنايا بعد سقم ملازم
فقلت لنفس فيك قد حشرجت: لبّى

يريد التلبية وهي الاجابة ، وفي الديوان : (سل) بدل (سقم) وليس في التغيير سوى تعيين نوع المرض .

---

(٢٥) انظر حاشية الصبان على شرح الاشموني ١٨٨/٢ دار إحياء الكتب العربية بالقاهرة . وقد يظن أن البيت ازهير ولكني لم أجده في ديوانه .

القصيدة الخامسة عشرة : (٢٦)

(رثاء صفاء بك) وهو شاعر تركي رافقه الزهاوي فى الآستانة ثم سجنا ونفيا وكان نفي (صفاء) الى (سيواس) وبقى فيها حتى مات ومن المرجح أن هذه القصيدة نظمت فى سنة ١٩٠٧م وقد حدث التبديل في بعض أبياتها وهي :

١- قد أخلفت فيك الليالى عهدها
إن الليالى مالها ميثاق

وفي الديوان :

فيك الليالى أخلفت ميثاقها
إن الليالى مالها ميثاق

ولا فرق بين العهد والميثاق ولولا أنه أراد أن يرصد القافية لكان التركيب الأول أفضل من الجديد .

٢- في روضها للشعر حين تقوله
تفس كما هب الصبا خفاق

اراد فى روض الآداب . ثم غير فى الشطر الأول فقال :

للشعر في الافاق حين تقوله
نفس كما هب الصبا خفاق

---

(٢٦) الكلم ٨٥ ـ ٨٨ . والديوان ١٦٥ ـ ١٦٦ .

وهو تغيير جيد يكاد ينهض بالبيت .

٣- يا كوكبا في أرض سيواس هوى
من بعد ما ضاءت به الآفاق

ثم جاء الشطر الأول في الديوان هكذا .

يا كوكبا من عرش رفعته هوى
من بعد ما ضاءت به الآفاق

وهو تغيير ليس بجيد فقد كان من الأفضل أن يبقى على استعارة واحدة وأن تبقى (سيواس) في مكانها من البيت لينتفع تأريخ الأدب بذلك أما الاسلوب الجديد فقد أهمل ما لا يستحسن إهماله وجعل في الشطر استعارتين في الجمع بينهما كثير من التكلف اذ صار الميت كوكباً ثم صار الكوكب ملكاً فهوى من عرش رفعته ولاشيء من سلاسة العبارة أو تركيز الصورة .

٤- اخترت في جوف الثرى متبوأ
عل الثري لك منزل تشتاق

اراد : تشتاقه فحذف ضمير المنزل لأنه فضلة . وفي الديوان : (من جوف . .) وليس في البديل من فرق فكلا الحرفين صحيح هنا .

٥- دافعت مثلى عن مصالح أمة
ما إن لها لدفاعك استحقاق

وفي الديوان : (حقيقة) بدل (مصالح) ولم هذا التغيير والقديمة لا تقل شأناً عن المفردات الباقية ؟ فليست كلمة (مصالح) مما يأنف منها تركيب البيت بل لعلها أفضل من مفردات الشطر الثاني الذي لا يعني اكثر من كون الأمة لا تستحق ذلك الدفاع .

٦- قد عشت ذا أنف نعمْ في دولة
خضعت لحكم قيودها الاعناق

وفي الديوان :

قد عشت غير مطأطىء في دولة
خضعت لجائر حكمها الاعناق

والفرار من (نعم) جيد فما أثقلها هنا وما اكثر ما يلجأ إليها الزهاوي وإلى اختيها (أجل) و (بلى) من غير حاجة أو مناسبة . أما حذف مفعول (مطأطىء) في البناء الجديد ففيه تكلف آخر ولكنه مغتفر وإضافة الصفة الى الموصوف في التعبير الجديد : (لجائر حكمها) من الأساليب المألوفة ولكن البناء الأول ليس فيه من بأس إن لم يكن أفضل من الجديد لولا (نعم) .

٧- لم تعزم الاحرار خوض كريهة
إلا وأنت الاول السباق

وفي الديوان :

ما خاضت الاحرار غمر كريهة
إلا وأنت الاول السباق

والذي ألجأه الى التغيير ما تخيله في البناء الأول من نقص في حرف الجر وهذا التخيل - إذا صح - لا مجال له لأن الفعل (عزم) يتعدى بنفسه كما يتعدى بحرف (على) ولا ضير على البيت في بنائه القديم أما الجديد فقد يشعرنا بالتكلف في كلمة) غمر) والمشهور (غمرة) وغمرات ، هذه هي لغة الشعر ، أما أن يقال : ماء غمر - أي : كثير - فذلك تعبير آخر . ولو قال الشاعر : لج كريهة . . لسلم له الأداء :

٨ـ قد كنت للعدل المحجب عاشقا
والعدل محبوب لـه عشـاق

وفى الديوان :

ما كنت إلا للعدالة عاشقـا
والعدل محبوب لـه عشـاق

ولعله لحظ تكلفا في عبارة (المحجب) لأنه يريد : العدل المفقود فأجراه على سبيل الاستعارة التخييلية وقد أبقى هذه الاستعارة في التبديل ولكنه حذف ما يرمز الى المشبه به وهو (المحجب) لأنه لا يفـي بالمعنى المقصود وهو الفقـد :

القصيدة السادسة عشرة :(٢٧)

(الموت) ولعلـه نظمها في سنة ١٩٠٧م وليس فيها من التكلف والركة ما في قصائده القصصية فموضوع الموت والحياة من الموضوعات الشائعة وقد سبقه اليه الشعراء القدماء ولا سيما أبو العتاهية وأبو العلاء المعري، غير أن الجديد في هذه القصيدة أنها تناولت جانباً من الأوضاع السياسية والاجتماعية في العراق وفي الشرق وقد حدث تبديل وتغيير في بعض أبياتها وهي :

١- فتموت الدهاة كالغير منهم
وبودي ألا تموت الدهاة

ولعله تنبه أونبهه بعض العارفين إلى ما لجأ اليه من ضرورة لا يقرها معظم النحاة ولا ترتضيها اللغة في سلامتها وصفائها وهذه الضرورة هي استعمال (غير) مع (أل) وإن أجازها بعضهم بحجة أن اللام ليست للتعريف وإنما هي المعاقبة للاضافة والأصل (كغيرهم) (٢٨) ولكن هذا لا يمنع من ضعف التعبير ودنوه من العامية المبتذلة لذلك تغير الشطر الأول الى ما يأتي :

فيموت الدهاة مثل سواهم
وبودي ألا تموت الدهاة

---

(٢٧) الكلم ٨٨ - ٩١ والديوان ٢٤ - ٢٥ و ٢٨٦ - ٢٨٧ . واللباب ١ و١٥ .

(٢٨) انظر غنية الطالب ومنية الراغب لاحمد فارس الشدياق ص١٦٢ ط١ مطبعة الجوائب ١٢٨٨هـ استانبول .

والجديد أفضل من القديم .

٢ـ رب قوم عاشوا مع الأمن حينا
ثم دارت عليهم الدائرات

اراد أن يقول : عاشو آمنين ، فتكلف التعبير بما يوهم في عصرنا الحاضر وإن لم يكن هذا الابهام معروفا في الزمن الذي نظمت فيه القصيدة غير أن ركة العبارة جعلته يبدل الشكل فيقول :

رب قوم عاشوا بأمن زماناً
ثم دارت عليهم الدائرات

× × ×

٣ـ لا أبالي إن مت جاورني في الـ
ـقبر صحبي أم جاورتني العداة

والبيت في الديوان على نسقه في الكلم المنظوم ولكنه جاء في اللباب هكذا :

لا أبالي أجاورتني في القبـ
ـر صحابي ام جاورتني العداة

والركة كما هي في الشكلين ولعل الشاعر فر من تكرار المعنى لأن سكنى القبر معناها الموت فعبارة (إن مت) حشو . لذلك غير وبدل. ولعله تنبه الى همزة التسوية التي حذفت في التركيب الأول فتداركها في التركيب الثاني واذا كان هذا قصده فلا ضرورة لهذا الذي صار اليه لأن الهمزة الدالة على الاستفهام أو التسوية يجوز حذفها اذا أمن اللبس وهذا الحذف الجائز يكون بعد (سواء) و (ما أبالي) و (ما أدري) و (ليت شعري) وغيرهن من العبارات المماثلة ومنه قول الأسود بن يعفر التميمي :

لعمرك ما أدري وان كنت داريا
شعيث بن سهم أم شعيث بن منقر

وقول عمر بن ابي ربيعة :

فوالله ما ادرى وان كنت داريا

بسبع رمين الجمر أم بثمان(٢٩)

× × ×

٤- أنا كالناس حيثما مت ماتت

مع نفسي الآلام واللذات

وفي الديوان (الهموم) بدل (الآلام) والطباق بين الآلام واللذات اكثر استعمالا في لغة المحدثين .

٥- فوق خد البيض الحسان سطور

كتبت بالدموع فيها شكاة

وفي الديوان : (وجه) بدل (خد) ولا فرق بين المفردتين فالتعبير بالجزء جائز ولكن الضعف ناشئ من إضافة المفرد الى الجمع فللحسان وجوه وخدود وليس وجها واحداً أو خدا واحدا وكان على الشاعر ان ينظر الى هذا التركيب في معناه لا في لفظه ، ولو قال : في وجوه أو خدود لسلم من الضعف.

٦- ما تفكرت فى الحقيقة إلا

واعترتنى الشكوك والشبهات

---

(٢٩) انظر شرح الفية ابن مالك لابن الناظم ص ٢١٨ المطبعة العلوية ١٣٤٢ هـ النجف . ومغنى اللبيب لابن هشام - حاشية الامير - ص ١٢ - ١٦ مطبعة مصطفى محمد القاهرة .

وفي الديوان : إلاساورتني الشكوك . . ولعله تجنب واو الحال بعد (إلا)
وقد سبق مثل هذا في آخر القصيدة الرابعة عشرة .

٧- قد يود الانسان لو طار فى
الجو خفيفا كما تطير القطاة

وفي الديوان : كم يود . . وهو انتقال من القلة الى الكثرة .

٨- من تروّى أن النجوم شموس
عظمت فى عيونه الكائنات

ولم يطرأ تغيير على البيت فى الديوان ولكنه لاحظ فيما بعد كلمة (تروى) وعدم كفايتها في نقل المعنى فوضع مكانها في (الالباب) كلمة (يفكر) والفعل مجزوم بمن الشرطية .

القصيدة السابعة عشرة(٣٠)

مقطوعة غير تامة في الكلم المنظوم وقد حدث التغيير في بيت واحد منها وهو :

أذهب صبري اطّراد عيشي
وربما أوجب انتحاري

وفي الديوان : (دهري) بدل (عيشي) وفي التبديل عموم يشمل العيش وغيره أو أنه أبدل مفردة بأحرى لئلا يفسر العيش بما يقيم به الشاعر أمور حياته فتكون شكواه من عسر وحاجة في حين انه لم يكن كذلك وإنما كان يشكو من البقاء .

(٣٠) الكلم : ٩٢ . والديوان ٢٥ .

القصيدة الثامنة عشرة(٣١)

(سياحة العقل) وهي قصيدة طويلة تتضمن بعض أفكاره في الفضاء والنجوم والحياة والبشر وقد نظمها في سنة ١٩٠٧ م أما التبديل فلم يحدث الا في القليل منها ولربما كانت من شعره الجيد في لغتها وبنائها وان كانت مضامينها مستوحاة من مقالات وأفكار علمية لا تشدها الى خصائص الشعر إلا الوشائج الضعيفة . وهذه صور التبديل فيها :

١- العقل يرجع خاسئا
عنهـا وإن لم يأل جهدا

وفي الديوان : (خائبا) مكان (خاسئا) وكأنه لاحظ أنمفردته السابقة انما يوصف بها البصر فعدل عنها ولو أبقاها لكان له في المجاز عذر .

٢- متجهزا بضياء أنـ
ظار بها ان ضل يهدى

وفي الديوان :

مسترشـدا بعلومـه فيها اذا ما ضل يهدى

والتبديل أقوم وأمكن ولو لا ضعف التركيب في البناء الأول واقحام (أنظار) المبتذلة لكان المعنى غير قاصر .

---

(٣١) الكلم : ٩٧ - ١٠١ والديوان : ٢٦ - ٢٧ واللباب ص ١ .

٣- يسمو وينفذ موغلا

فيصده الاعياء صدا

وفي الديوان : يسمو ويذهب . . . . والتغيير مناسب فالذي ينفذ لا يصده الاعياء وإلا لما نفذ ، والذي يصده الاعياء لا ينفذ ففي العبارتين تدافع وإحالة.

٤- إني اذا خالفتها كانت لي الخصم الألدا

يريد نفسه . وفي الديوان كذلك ولكنه غير في اللباب (خالفتها) بعبارة: (ناصحتها) والمناصحة) انما تكون بين اثنين ، أو أنه اراد : اخلص نفسه بالتوبة فلا مسوغ للانتقال من الوضوح الى الابهام .

٥- والارض بنت الشمس تر

ضع من حرارتها وتغدا

والقافية (وتغدا) قلقة فى مكانها لأن الفعل (غدى - يغدى) بمعنى : أكل أول النهار فهو فعل مادي في الغالب ويرسم بالياء لا الألف . وقد اراد الشاعر أنها تغذى (بالذال) فخانه الروى وصار الى الفعل غير المناسب ، لذلك غير كثيراً من مفردات البيت فجاء في الديوان هكذا :

والارض بنت الشمس تل

زم أمها جريا وتحدى

فترك الاستعارة من الرضاع والغذاء الى استعارة الجرى والحداء وفي الصورتين تناسب بين الارض والشمس ، ولو انه قال :

والارض بنت الشمس تل

زم أمها ممسى ومغدى

لاستراح من التكلف وأبقى صلة الأمومة بين الارض والشمس .

القصيدة التاسعة عشرة(٣٢)

مزدوجات نظمها في سنة ١٩٠٧ م وقد اعاد نشر الكثير منها في الديوان بعد ان تناول قسما مما أعاد نشره بما يظنه تنقيحا او تهذيبا ، وهذه صوره :

١ـ صب براه الهوى مصاب
بكى على حاله الشباب

وفي الديوان : (غصنه) بدل (حاله) والتبديل محاكاة وتقليد .

٢ـ قد ظنه أولاً يسيرا
ثم رأى أمره عسيرا

وجاء الشطر الثاني في الديوان هكذا :

قد ظنه أولاً يسيرا
ثم رآه صعبا عسيرا

والتبديل سليم من الوجهة اللغوية لولا ما يشبه الترادف بين صعب وعسير غير ان هذا التغيير أخرج الشطر من الوزن الذي جرى عليه الشاعر في هذه المزدوجات وهو مخلع البسيط وعروضه وضربه مقطوعان مخبونان وتفعيله هكذا :

مستفعلن فاعلن فعولن مستفعلن فاعلن فعولن

---

(٣٢) الكلم المنظوم ص ١٠١ ـ ١٠٥ والديوان ص ٩٧ ـ ٩٩ .

وهذا الوزن كثير في الشعر العربي قديمه وحديثه ، واذا قطعنا الشطر الثاني وجدناه غير سليم فهو كما يلي :

ثم رآ = مفتعلن . ه صعبا = فعولن . عسيرا = فعولن .

والخروج في التفعيلة الثانية بصيرورتها على وزن (فعولن) وكان يجب ان تكون على وزن (فاعلن) ومن ثم يتضح ان البناء القديم اصح من الوجهة العروضية .

٣ـ حلّ بأحشائه فساد
يبعد ان يقبل الصلاحا

وحدث تبديل في الشطر الثاني فجاء مع صاحبه هكذا :

حلَّ بحشائه فساد
عصى فلا يقبل الصلاحا

والتعبير الجديد أفضل من القديم .

٤ـ لدائه في حشاه نحت
في كل أعضائه يفتّ

وفي الديوان :

لدائه في حشاه نحت
غدا بأعضاده يفت

والتغيير سليم من الوجهة اللغوية فانه يقال : فت في عضده أو في ساعده أما الاعضاء فمناسبتها ضعيفة مع الفت ولكن الشاعر تصرف في هذا المصطلح فاستعمل الجمع بدل المفرد وهو استعمال دون المشهور .

٥ـ نهاره لا يكون ليلا   الا ويدعو هناك ويلا

وفي الديوان :

نهاره لا يكون ليلا الا دعا كالثكول ويلا

وبغض النظر عما شاع من استعمال هذا التركيب في النثر لا الوبل يكون الزهاوي قد تجنب بالتبديل وقوع المضارع حالا بعد الواو من غير ضمير او (قد) كما تقول القاعدة النحوية وهو تبديل سليم وان كان التركيب القديم غير منكر فى لغة الشعراء القدامى .

٦- أحبابه حملوه ذنبا لأجله أحرموه قربا

يريد بالشطر الثاني : حرموه القرب ، أو حرموا عليه القرب ، فاستعمل الرباعي المهموز في هذا المعنى ، والمشهور فيه أنه بمعنى الدخول في الحرم أو في الشهر الحرام أما استعماله بمعنى التحريم فقليل واذا استعمل بمعنى الامساك من الشيء فهو لازم . ولعل الشاعر ادرك ذلك فغيره بالعبارة التالية :

(ما حبوه) فيكون الشطر هكذا : (لأجله ما حبوه قربا) .

٧- رأى جمالا سما فقاسى

دون الوصول اليه يأسا

وفي الديوان : (سبي) مكان (سما) والجديدة توضح أثر الجمال في الشاعر ، اما كلمة (الوصول) فقد صححها في الكلم المنظوم نفسه اذ وردت فى لبث الخطأ والصواب منكرة من غير (أل) لتكون بالتنكير منولة فتسلم التفعيلة (فاعلن) من زحاف الخبن الذي حدث في البناء الأول لأن خبن هذه التفعيلة وصيرورتها (فعلن) انما يقع بكثرة وانسجام في العروض التامة من البسيط أما في المخلع فغير مستساغة لذلك أعادها التنكير الى سلامتها .

٨- قد آن سيري الى اللحود

حيث بها ينمحى وجودى

وفي الديوان : (يمحى) بالادغام وهو أفضل .

٩- يا أم لِمْ فارق الطبيب
دمعـــك يا أم لي مريـــب

وفي الديوان : (يريب) فانتقل من اسم الفاعل الى الفعل وكلاهما جائز لأن الرباعي (أراب) من لغة هذيل فاسم فاعله ومضارعه صحيحان أما اذا اراد الثلاثي فقد جرى على المشهور .

١٠- فقبل عود الرسول منها
لا أبتغي من هنـا براحـا

وفي الديوان : (عنها) بدل : (منها) ولا ضرورة لهذا فالقديمة أقرب الى فعل العودة من الجديدة .

القصيدة المتممة للعشرين (٣٣)

مقطوعة عنوانها (نظرت إليها) وقد حدث التغيير في بيتين منها وهما:

١- نظرت إليها وهى تعطو كأنها
غزال بمخضر من الروض يمرج

وفي الديوان : (بمخضل) والجديدة أرق وفيها معنى الخضرة التي كانت قبل التغيير يضاف الى ذلك سلامة الشطر من تكرار الراء ثلاث مرات .

٢- تمنيت يا سلمى وهل تنفع المنى
لو انّ حياتى فى حياتك تمزج

وفى الديوان واللباب: (ليلى) بدل (سلمى)ولا فرق بينهما ما دام الشاعر يرمز بالتسميةوليس له سلمي ولا ليلى.

---

(٣٣) الكلم ١٠٥ . والديوان ص٢ وانظر البيت الثاني فى اللباب ص١٠

القصيدة الحادية والعشرون: (٣٤)

(أين مني ما اريد) وهي طويلة وقد نظمها في زمن الاستبداد وأعاد في الديوان بعض مقاطعها فقدم وأخر. اما الأبيات التي حدث فيها التغيير فهي:

١- وليس بنافعي شيئا بقائي
وقد غصت بأحبابي اللحود

وفي الديوان: (بأصحابي) والجديدة اشمل من القديمة وأقرب الى لغة العقل من سابقتها ما دام قد نحا بالقصيدة منحى فلسفيا.

٢- ولا عمّا وراء السحب منها
فذلك أمر مطلبه بعيد

وكأنه أراد: ذلك أمر بعيد مطلبه فأضاف أمر الى مطلبه رعاية للوزن فضعف التركيب لذلك عدل عنه في الديوان الى قوله:

ولا عمّا وراء السحب منها
فذلك مطلب عنا بعيد

والشكل الجديد أفضل وأقوم.

٣- ألكني يا ضياء الى نجوم
منورة لها منها وقود

وفي الديوان: (بعيدات) مكان: منورة. والجديدة أمكن من السابقة.

---

(٣٥) الكلم ١٠٦ - ١٠٩ ؛ والديوان ٢٨ .

٤ـ نهار خلفه إلى نهار
وليل كلما ولى يعود

وفي الديوان : (بعده) بدل : خلفه ، وكلاهما ظرف إلا أن القديمة للمكان والجديدة للزمان فهي أقرب إلى التعاقب في الزمن من القديمة المتكلفة التي جعلت من الأيام أحيانا يكمن بعضها خلف بعض وإن كان ذلك مقبولا في لغة المجاز لأن النهار الآتي بحكم الموجود الذي لا بد منه ، ومهما يكن من شيء فان الركة ظاهرة في استعمال الظرفين هنا .

القصيدة الثانية والعشرون : (٣٥)

« الشمس والطلوع » وقد نظمها في سنة ١٩٠٧ م وفرقها في الديوان بعد ان كانت مجموعة في الكلم المنظوم . وقد وقع التغيير في قليل من ابياتها وهي :

١- طلعت في جلالة ووقار
من وراء التلول شمس النهار

وفي الديوان : (التلاع) بدل : التلول ، ولا ضرورة للتبديل فالأولى تعني ما ارتفع من الارض قليلا عما حوله ، والجديدة تعني ما ارتفع من الارض وما سفل .

٢- ما تدانى الا وأهدى نشاطا
لحياة الحيوان والاشجار

وفي الديوان : (إلا اذاع) مكان : (الا وأهدى) ، وفي التبديل تصحيح للعبارة فقد منع النحاة مجيء الماضي مقرونا بالواو اذا وقع حالا بعد (إلا) وقد مر مثل هذا في القصائد السابقة وأشرنا الى رأى النحاة فيه(٣٦) .

---

(٣٥) الكلم المنظوم ص ١١٠ - ١١١ والديوان ص ٢٩ و ١٢٩ .

(٣٦) انظر البيت الخامس من القصيدة الرابعة عشرة .

٣- طاف يسعى على ذكاه كما دا
رت بليل فراشـة حول نار

وفى الديوان : (كما طافت بليل) وتشبيه الفعل في حالة من الحالات بنفسه فى حالة مماثلة أجمل من تشبيهه بفعل آخر وإن كان من معناه وإذا كان من التكلف ان تكون هذه قاعدة في التشبيه فان العبارة الجديدة أفضل من القديمة وأنسب في هذه الصورة :

القصيدة الثالثة والعشرون : (٣٧)

(الشمس في المغيب) ويبدو أنها متممة للقصيدة السابقة في الموضوع وان اختلفت عنها في الروي وقد نظمها - كما يظهر من تاريخها - في اليوم الذي نظم فيه القصيدة السابقة ، وعدتها في الديوان كعدتها في الكلم وليس منها في اللباب سوى أربعة أبيات ، أما التبديل فكما يأتي :

١- أم قضت نصف دورة هذه الأر
ض دنا فيه من ذكاء غروب

وفي الديوان : (أتت) بدل (قضت) والقديمة أفضل .

٢- وعلاها السحاب فاحمرّ منه
لدواع ذوائب وجيوب

وفي الديوان :

وعلاها السحاب فاحمر منها
اذ توارت ذوائب وجيوب

وبهذا تحول من ضمير المذكر العائد على السحاب الى ضمير المؤنث العائد على الشمس وكأنه يريد حمرة الشمس لا حمرة السحاب وذلك من تقديره. اما التبديل في الشطر الثاني فهو جيد لأن العبارة القديمة ليست من مفردات الشعر على أنها مبهمة في التعليل الذي أوضحته العبارة الجديدة المناسبة في اللفظ والمعنى.

---

(٣٧) الكلم ١١١ - ١١٢ . والديوان : ١٣٠ - واللباب ٩ - ١٠ .

٣- ألم ترى أبدت الطبيعة لوحا
نظـر الروح نحـوه مجذوب
تقف العين عنده وهى حيرى
يستبيهـا جمالهـا المحبـوب

وفي الديوان : (جماله) في البيت الثاني ليعود الضمير على اللوح لا على الطبيعة وقد سبقه ضميران مثله في جهة العودة فلا بأس بالمشاكلة .

٤- وانظر البر فى مقابلة الشمـ
ـس تجد ما تذوب منه القلوب

ثم تغير معظم البيت في الديوان فجاء هكذا :

وانظر البر إن مشهده بعـ
ـد غروب لها شجىّ مهيب

والشكلان ركيكان غير ان الاول مفعم بالمبالغة التي لا تنسجم مع هذا الوصف الخالي من الانفعال والعاطفة المشبوبة فـــذوبان القلوب لا يكون بمشاهدة البر عند غروب الشمس إلا اذا كان يرتبط بذكريات عاطفية حادة لذلك كان التبديل أقوم وان لم ينهض بقوة فى التركيب والاداء :

٥- منظر للغروب فى البر مشج
فتكاد القلوب منه تذوب

وهذا البيت يفسر لنا علة أخرى في تغيير البيت السـابق حتى لا يتكرر ذوبان القلوب أما التغيير الذي حدث فيه فهو : (مشهد) بـــدل (منظر) وكلاهما جيد . و (شاج) بدل : (مشج) وكلاهما اسم فاعل متعد بمعنى : محزن أو مطرب - على الضد - وقد تصور الزهاوي ان القياس فى اللغة سهل

جائز واله في الشعر كحاله في كتب اللغة وفي النثر فأتى بهذه المفردة التي ينفر منها الشعراء . ولم يكتف الزهاوي بهذا التغيير الذي حدث في الديوان فقد تحول الشطر الأول في اللباب الى صورة أخرى فجاء كما يلي :

مشهد يشجو لونه ناظريه
فتكاد القلوب منه تذوب

وهذا التغيير حدث وعمر الزهاوي حوالى خمس وستين سنة وهو في هذه السن المتقدمة ينظم بلغة المبتدئين ، ويريد بناظريه جمع ناظر ولو قال : مبصريه لسلم من الابهام والالتباس فربما قرئت هذه العبارة على التثنية لا الجمع وفي التثنية بعد عن المعنى .

٦ـ واول البيت الاخير من هذه القصيدة (منظر) وفي الديوان : (مشهد) ولعله غير للمشاكلة مع البيت السابق .

القصيدة الرابعة والعشرون : (٣٨)

(كأنك لا تعلم) وهي على نسق واحد من الوزن والروي ولكنهاتفرقت تحت عناوين مختلفة أوأنها مقطوعات متفرقةجمعها الوزن والروى والمكان في الكلم المنظوم ثم تفرقت في الديوان بين التقديم والتأخير شأنها في ذلك شأن الكثير من القصائد وقد نظمها في سنة ١٩٠٧ م ثم حدث التغيير في القليل من أبياتها وهي :

١ـ هل الدفع أوضح في ذاته
من الجذب أم هل هما توأم

وفي الديوان : (أقدر) بدل (أوضح) والتغيير مناسب للفكرة فلا معنى للوضوح في الدفع والجذب .

٢ـ بلى نتوهم من نفسنا
لذاك بواعث أو نزعم

وفي الديوان : (وقد) مكان (بلى) والجديدة أسلم من القديمة .

٣ـ فنذكر أشياء لكننا
بما قد ذكرناه لا نجزم

وجاء الشطر الثاني في الديوان هكذا :

فنذكر أشياء لكننا بما نحن نذكر لا نجزم

ولعله أراد المشاكلة في الزمن بين الأفعال :

---

(٣٨) الكلم ١١٢ ـ ١١٥ ، والديوان ٣ و ٢٩ ـ ٣٠ و ١٠٧ .

٤- وتقدح بالفكر الباهنا
زنودا ولا ينجلي المبهم

وفي الديوان : (زنادا) وهو الصحيح اذ لا مناسبة للزنود ولعل الشاعر توهم في الجمع .

٥- فان جئت أسأل ما عندها
تقل كلمات لها تعجم

وفي الديوان : (ما عذرها) بدل (ما عندها) . أراد الطبيعة لأنها كانت لا تبوح بشيء .

٦- وذلك يسقط من رمية
وهذا يجدله المخذم

وفي الديوان : يجندله) بالنون ، والقديمة افصح من الجديدة .

٧- دعاني لنصرته منهما
فريق هم الطرف الأظلم

وفي الديوان : (هو) بدل (هم) وكأنه راعى اللفظ فغير المفردة ولا ضير من مراعاة المعنى .

٨- تراني فتبسم من صفرتي
وأحسن بها عندما تبسم

وفي الديوان : (حينما) بدل (عندما) في الشطر الثاني ، والجديدة انسب لأنها ظرف زمان .

٩- ستدرس بعدي ربوع الهوى
وتبقى المعالم والأرسم

وفي الديوان : (صروح) بدل (ربوع) والبيت برمته من الصياغة الموروثة وليس فيه من جديد فالمفردة القديمة أفضل من الحديثة .

القصيدة الخامسة والعشرون : (٣٩)

(لعل له عذرا) وهي طويلة نظمها في سنة ١٩٠٧ م وقد دافع بها عن نفسه حين اتهم بالالحاد ولم يثبت منهـــا في الديوان سوى ستة أبيات وكان للتبديل في بيتين منها وهما :

١- فباتت تصيح الويل شبه حمامة
تنوح بداجي الليل من كبد حرّى

يعني غادة حزينة أفقدها الظلم حاميها وقد ذكرها في البيت السابق . ثم غير الشطر الاول الى ما يأتي :

فباتت تناجي همها كحمامة
تنوح بداجي الليل من كبد حرّى

ولا بأس ان يفر من الصياح الى مناجاة الهموم مكتفيا بالتشبيه الـــذي لا يخلو من البكاء والنواح .

٢- وفي الجانب الشرقي أبصر نجمة
ذؤابتها من فضة أشربت تبرا

وهذا البيت جزء من صورة في وصف بعض النجوم وقد غير منه في الديوان فكان كما يأتي :

---

(٣٩) الكلم ١٢٥ والديوان ١٣٠ - ١٣١ .

على الجانب الغربي أبصر كوكبا
له ذنب من فضة أشبهت نهرا

والذي دعاه الى هذا التغيير كلمة (نجمة) والمشهور فيها التذكير لفظا ومعنى أما التأنيث فهو من وضع العامة ثم ساقه هذا الى تغيير آخر فاستعمل كلمة (الذنب) بدل (الذؤابة) والقديمة أقرب الى لغة الشعر من الجديدة .

أما تحويل الجانب الشرقي الى الجانب الغربي فقد يكون ناشئا من الرؤية الجديدة حين غير البيت ولعله كان يقصد (الزهرة) التي ترى حينا في الشرق قبل الفجر وحينا في الغرب بعد غروب الشمس ففي الرؤية الأولى كانت شرقية وفي الثانية كانت غربية ، وقد يقصد مذنبا من المذنبات التي قد تشاهد بعض الأحيان . واذا كان قد بقي شيء فحرف الجر الذي بدىء به البيت فهو في الاول (في) مع واو العطف وفي الثاني (على) وسبب التبديل ان البيت جاء بداية مقطع فلا مجال للعطف ، أما أن البيت قد استلف من قول أبي تمام :

وخوفوا الناس من دهياء مظلمة
اذا بدا الكوكب الغربي ذو الذنب

فذلك شيء آخر .

القصيدة السادسة والعشرون : (٤٠)

(يا ذكاء) وقد نظمها في سنة ١٩٠٧ م ولم يثبت منها في الديوان سوى ثلاثة أبيات حدث فيها بعض التغيير وهى :

١- تضجرت من أرض بها الفضل ضائع
ومن زمن فيه الكرام قليل

وفي الديوان : (العلم) بدل (الفضل) والقديمة أشمل من الجديدة ولكنه اراد التخصيص بدل الشمول ، والعلم لاينفي الفضل عن صاحبه على ان البيت برمته من التراث القديم معنى واداء .

٢- واكثر بخسا للفضيلة موقع
يجادل أهل العلم فيه جهول

وفي الديوان : (منزل) بدل (موقع) وهو جيد ، ولكنه لو قال : (موطن) لكان أقوم .

٣- وإن امرأ لم يحتفل قومه به
وجانبه أصحابه لذليل

وفي الديوان : (وأنكره) مكان (جانبه) والنكران أعم . واللفظ جيد.

---

(٤٠) الكلم ١٢٢ والديوان ١٩٥ .

القصيدة السابعة والعشرون : (٤١)

(سعاد بعد زوجها) وهي من منظوماته فى سنة ١٩٠٧ م وليس فيها اي تفوق على قصائده القصصية الاخرى فالبناء ركيك والتراكيب ضعيفة حتى تكاد تسف الى ما دون الوسط من الشعر . وقد اعاد الكثير منها في الديوان وغير وبدل فيما يأتي منها :

١ـ أنبأته يا ام فى كتبى له
أنى مرضت فلم يواف جواب

وفي الديوان : (أخبرته) ولا فرق بين أنبأ وأخبر ، بل القديمة اكثر استعمالا وقد وردت في كثير من آيات القرآن .

٢ـ ما كان ظنى أن احمد يبتغى
عنى رحيلا ليس منه مآب

وفي الديوان : (مزمع) بدل (يبتغي) والجديدة أنسب مع الرحيل .

٣ـ قالت لها الأم الشفيقة (سعدة)
ما كل ظنى يا سعاد صواب

وفي الديوان : (خولة) بدل (سعدة) والتسمية من عمل الشاعر ولكن الجديدة افضل من القديمة التي هي من اسماء العامة .

٤ـ بالجد أنت مريضة وأخاف ان
تزداد فيك من الأسى الأوصاب

---

(٤١) الكلم ١٣٥ - ١٣٩ . والديوان ٩٩-١٠٢ .

اراد : أنت مريضة جدا ، ولكن تعبيره ركيك غير مألوف فغيره في الديوان : ووضع عبارة : (أسعاد) موضع (بالجد) .

٥- صاحت لساعتها سعاد صيحة
رجفت هناك لهولها الأصلاب

وفي الديوان تغيير يكاد يكون شاملا وهو :

أخذت سعادا رجفة عصبية
من هول ما سمعت وضاع صواب

والجديد على ركته أفضل من القديم الذي لم يسلم من الحشو والمبالغة .

٦- ثم ارعوت من بعد ثلثى ساعة
تبكى كأن عيونها ميزاب

وفي الديوان لم يبق الشطر الأول على وضعه فقد جاء هكذا :

ثم ارعوت من بعد غيبة ساعة الخ

والبيت كله مضطرب حتى في بنائه الجديد ولم يحدث فيه غير إطالة الزمن من ثلثى ساعة الى ساعة كاملة وليس في تحديد الزمن هنا سوى التكلف . أما (غيبة) فيعني بها الاغماء أو أنها غابت عن رشدها فلم يستقم له التعبير .

٧- يا أم لى - وقد استبد برأيه
فى القضاء - على القضاء حساب

اراد : لى حساب على القضاء ، وما بينهما حشو هو قيد في المعنى وحال في الاعراب أما في الديوان فقد جاء البيت كالآتي :

وتقول : يا أم استبد بحكمه
فى القضاء فلى عليه عتاب

والتغيير نقل الحشو الى الصياغة الرئيسية ومزج الجملة التي كانت تكتنف الحشو ، كذلك كان الانتقال من (رأى) الى كلمة (حكم) مناسب للقضاء .

٨- يا رب عونا فالذئاب تلوح لى
مثل اللصوص وفى الأكف حراب

وفي الديوان (حولك) بكاف الخطاب وكلاهما دعاء .

٩- ياأحمد البت فى مكانك باسلا
لا يغلبنك منهم الارهاب

وفي الديوان : (لا يوهننك) في أول الشطر الثاني والتبديل جيد .

١٠- درء الحكومة عن رعاياها الأذى
متحتم ولها الحماية داب

وفي الديوان : (رعيتها) بدل (رعاياها) ولا فرق بين المفرد والجمع فقد كان للدولة العثمانية رعايا مختلفون .

١١- وتعود مخفورا إلىّ مرفها
فيقر هذي العين منك إياب

وفي الديوان : (مشيعا) بدل (مرفها) وليس في الجديدة من قوة ولكنها أفضل من القديمة لغة لان المشهور (رفأ) بالهمزة لا بالهاء .

١٢- يا أم قد هجموا عليه بجمعهم
فى دفعة والهاجمون صعاب

وفي الديوان : (مرة) بدل (دفعة) وكلتاهما ركيكة متبذلة .

١٣- أخذت تسليها هنالك سعدة
وصحاب هم سعاد لا يتجاب

وفي الديوان : (خولة) وهو تبديل مر في بيت سابق لتسلم التسمية الجديدة.

١٤- كانت كعابها في غدير شبابها
لو أخر الموت الزؤام شباب

وقد صحح كلمة (غدير) في ثبت الخطأ والصواب بكلمة (غرز)
والتصحيح غريب فهل يعني به العود الذي يغرز على سبيل المجاز ؟ ولكنه في الديوان غير المفردة الى مفردة اخرى مناسبة وهي (غضير) فسلم من الغموض.

القصيدة الثامنة والعشرون (٤٢)

(تحت التراب ربيع) وهي من قصائد الرثاء وقد نظمها في سنة سنة ١٩٠٧م وأعاد في الديوان إثبات مقطع منها وكان التغيير في الأبيات الآتية :

١- بيض قضت في عنفوان شبابها
حيث الزمان كما يرام مريع

ثم تناول الشطر الثاني بالتبديل فقال :

بيض قضت في عنفوان شبابها
حيث الحياة صبابة ونزوع

وفي التبديل قوة في الأداء وفي الصورة وتجديد في المعنى ، وانتقال من التقليد في كلمة (الزمان) ومن الغموض في (مريع) التي تحتمل اكثر من معنى واحد وأكثر من قراءة واحدة فإن كانت اسم فاعل من (أراع)ففيها الحزن والاعجاب ، وإن كانت على (فعيل) من (مرع) ففيها الخصب .

٢- بيض كمثل الزهر غابت في الثرى
فكأنما تحت التراب ربيع

وفي الديوان جاء الشطر الاول هكذا :

الزهر كل الزهر غيب في الثرى الخ

ولا ضرورة للتبديل فما في الجديد سوى المبالغة .

---

(٤٢) الكلم ١٤٣ - ١٤٤ . وللديوان ١٦٦ .

٣- أ (نوار) منذ دفنت في القبر الصبا
لي بالقبور صبابة وولوع

وفي الديوان :

أنوار منذ دفنت جسمك ناعما الخ

والجديد ليس بأمتن من القديم ولكن فيـه إيضاحا اذا كان الضمير للمتكلم لأن الأول يوهم بما إذا كان يعني صباه أو صباها وإن كان القصد معروفا من موضوع القصيدة . أما التبديل فقد أزال الابهام بكاف الخطاب.

٤- حسن تألق ثم زال كأنه
برق بحاشية السماء لموع

وفي الديوان : (وجه) بدل (حسن) وليس في التغيير من جديد ولكن الجديد أن بيتا آخر جاء بعد هذا البيت في الديوان ولم يكن في الكلم المنظوم وهو :

قالوا : تسلَّ بغيرها فأجبتهم
ما حيلتي إن كنت لا أسطيع ؟

القصيدة التاسعة والعشرون (٤٣)

(بين دجلة والفرات) وقد نظمها قبل إعلان الدستور يصف بها الحياة في العراق وما فعلته السياسة من خراب وفقر وفي القصيدة استثارة ودفع : وقد حدث التبديل والتغيير في قسم من ابياتها وهي :

١ـ بين أحناء دجلة والفرات
حيي البؤس فوق أرض موات

وهذا أول القصيدة وقد بقي في الديوان على حاله ثم تغيرت منه في اللباب كلمة (احناء) فصارت (اثناء) والاولى تعني كل ما فيه اعوجاج وهي قلقة في هذا المكان اما الجديدة ففيها شيء من المناسبة ولكنها ضعيفة ايضا . ولو قال : (ارياف) بدل هاتين لكان انسب . وفي اللباب ايضا بعد هذا البيت بيت آخر لم يكن في الكلم والديوان وهو :

شقيت من بعد السعادة تلك الأ
رض منكوبة بظلم الولاة

والبيت من نسق هذه القصيدة .

٢ـ موقف للغرام في كل وجه
جامع للفتيان والفتيات

وفي الديوان : (صوب) بدل (وجه) ولا بأس بالجديدة .

---

(٤٣) الكلم ١٤٥ ـ ١٤٧ . والديوان ٢٨٧ ـ ٢٨٩ واللباب ١٥ .

٣- هادرتها ايدى العداء جحيماً
بعد تلك الرياض والجنات

ثم صار الشطر الاول هكذا :

٣- هادرتها أيدي الجهالة قفرا الخ

وليس فى العبارة الجديدة سوى تغيير الاستعارة التخييلية من العداء وهو المخاصمة الى الجهالةوسوى استبدال السبب ولو بقى البيت على شكلهالقديم لكان أشمل للمعنى فان العداء قد يتسبب فى وجود الجهل . وكلمة (الجحيم) فيها قوة وشمول فالنار لا تبقى شيئا من الأخضر واليابس وفيها مقابلة مع الجنات :

٤- من رأى الأرض فى العراق مواتا
ذهبت ثم نفسه حسرات

وفي الديوان : (منه) بدل (ثم) والقديمة أمكن من الجديدة التي ليست سوى حشو لا ضرورة له .

٥- لا ولا كالفرات فى الارض نهرا
صالحاً للحيوان أو للنبات

وفى الديوان : (منعشاً) بدل (صالحا) والجديدة لا ترتاح اليها اللغة اذ المشهور الثلاثي (نعش) لا الرباعي وإن كان الشاعر قد وهب المعنى شيئا من الخيال بعد ان كان البيت ولا سيما شطره الثاني من لغة الجغرافيين لا الشعراء :

ما نضا الماء غير أن رجال ال
ملك ماتوا فى الاعصر الخاليات

اراد : ما نضب الماء فاستعمل فعلا ليس هذا مكانه فإن (نضا) بمعنى (خلع) او سل سيفه . ولا معنى له هنا : ولكنه لم يغير في الديوان سوى

كلمة (الملك) فجاء مكانها (السعي) وإذا كان سبب التغيير سياسياً كما يفترض فليس في الجديدة قوة :

٧- لهف نفسي على مبان حسان
زارها الهادمون بعد البناة

وفي الديوان : (صروح) بدل (مبان) والتغيير جيد، ولكن لم بقى الفعل (زار) ولم يتبدل الى فعل (حل) أو ما يشبهه والزيارة لا تكون في الغالب الا من محب أو صديق ؟ أكان يريد الاستهزاء ؟! :

٨- ركدت ريحكم ركودا ثقيلا
فسكنتم والناس في الحركات

وفي الديوان : (حركات) من غير (أل) والتنكير هنا أفضل من التعريف؛

٩- أيها القوم مالكم قد جهلتم
أنكم أمسيتم بوقت الغداة

وفي الديوان :

أيها القوم إنكم قد جهلتم
أنكم أمسيتم بوقت الغداة

وتكرار المفردات أسلوب من اساليب الزهاوي التي عرف بها فجمع بين (إن) المكسورة الهمزة وبين المفتوحة .

١٠- كم الى كم شيوخكم في رقاد
كم الى كم شبانكم في سبات

وفي الديوان : (كهول) بدل شيوخ) . و (شباب) بدل (شبان) ولا فرق بين القديم والجديد .

١١- أيها القوم أيها القوم إنا

أمـة ساقطون فى مهواة

وفي الديوان : (أنتم) مكان (إنا) ليخرج نفسه من ذلك السقوط !.

١٢- استعينوا كالغير بالعلم فيما

نابكم فهو ينزع الكربات

وفي الديوان :

استعينوا بالعـلم فالعـلم فى

كل زمـان مفرج الكربات

والتغيير جيد فدخول (أل) على (غير) ليس بمستساغ وقد مر مثل هذا في القصيدة السادسة عشرة ، وفعل (ينزع) قلق في هذا المكان .

١٣- ايها الظلم هل زمانك ماض

أيها العدل هل أوانك آتى

ولم يغير شيئا من هذا البيت فى الديوان ولكنه فى اللباب بدل كلمة (أوان) بكلمة (زمان) لتناسب أختها في الشطر الأول .

١٤- قل لبغداد ما استطعت فنوحى

إنما انت فى أسار الطغاة

وفي الديوان : (قد هضمت) مكان (ما استطعت) في الشطر الاول وليست الجديدة بأمكن من القديمة . ولعله قصد الى الإشارة بذكر السبب الذي يستوجب النواح ولكن هذا يستفاد من الشطر الثاني ، وربما استوحى هذه العبارة الجديدة من الوضع السياسى في العراق بعد تتويج الملك فيصل

واذا صح هذا فاستياء الزهاوي كان لذاته لا لغيره لأنه لم يشارك الشعب في حركاته المناوئة للانكليز فى تلك المرحلة .

١٥- لا يرى منهم نهوضا يميط الـ
ـضر عنهم ويذهب الويلات

وفاعل (يرى) ضمير للغائب في البيت الذي قبله ، ثم جاء فى الديوان:

لا يرى ثورة لهم قد تميط الـ
ضر عنهم وتذهب الويلات

والبناء الجديد ليس فيه من قوة سوى كلمة (ثورة) التى تجنبها في عصر السلطان عبد الحميد ، ثم أضاف في اللباب بيتا آخر لم يكن في الكلم والديوان ووضعه قبل بيت الختام في هذه القصيدة ، والبيت الجديد هو :

ثم أبكى حظى وأبكى هوانى
وعذابى وشقوتى فى حياتى

وقد يكون استوحى هذا البيت من الأزمة التي ألمت به فى أثناء تركه العراق وسفره الى مصر في عهد الملك فيصل الأول اذا لم يكن قد سقط من الكلم المنظوم .

القصيدة المتممة للثلاثين (٤٤)

(يا جهل) وهي قصيدة طويلة نظمها في سنة ١٩٠٧ م ، وحذف في الديوان بعض مقاطعها ولم يثبت منها في اللباب سوى بيتين . أما الأبيات التي حدث فيها التغيير والتبديل فهي :

١- لا شيء فى الشرق أعلى منك منزلة
يا جهل حسبك هذا المجد من حسب

وحلت في الديوان كلمة (العـز) مكان : المجد ، وكلتاهما للتهكم في هذا البيت :

٢- العلم يعجز عن ادراك بغيته
وانت تبلغ ما ترجوه عن كثب

وفي الديوان : من كثب . وكلا حرفي الجر مستعمل مع هذه الكلمة .

٣- ما أنقذ القوم نصحى من عمايتهم
ولا أفادهم شعري ولا خطبي

وفي الديوان : (غوايتهم) ولا فرق بين العماية والغواية في التعبير عن الضلال سوى أن الجديدة قد تكون بإرادة المرء .

٤- اذا وقفتم فان المال منتزع
وإن هربتم فان النار فى الطلب

(٤٤) الكلم المنظوم ١٤٨ - ١٥٢ والديوان ٢٨٩ - ٢٩١ واللباب ص ١٥ .

وفي الديوان : (أقمتم) مكان (وقفتم) ، و (رحلتم) مكان (هربتم).
ولا بأس بتغيير الأولى فان الجديدة أفضل ، أما الثانية فقد غيرها للطباق بين الإقامة والرحيل ، وإلا فهي جيدة هنا .

٥- من ذا اذا ما استجار الخائفون به
يرد عن ذى متاع كف مغتصب

وفي الديوان : (حقوق) بدل : متاع . والجديدة أشمل وإن لم تكن من مفردات الشعر لانها جاءت بصيغة الجمع .

٦- يا عدل هل انت يوماً ما معاودنا
فبعدك العيش لم يحسن ولم يطب

وفي الديوان :

يا عدل هل انت فى يوم معاودنا الخ . . .

والتغيير حسن فاستعمال (ما) يزيد فى النكرة قبلها ابهاما وعموما وفيها يأس واستبعاد للمعاودة يضاف الى ذلك تكرار حرف الميم ثلاث مرات فى مكان واحد .

٧- ألا رعى الله أوطانا لنا امتهنت
محبوبة السهل والوديان والكثب

وفي اللباب لا في الديوان : (انتهكت) بدل : امتهنت ، والقديمة فيها معنى الاحتقار والاستهانة ، ولكن الجديدة أقوى هنا .

٨- قد أضرم الجور نارا فى مساكنها
وأهلهـــا بين نفاخ ومحتطب

وفى اللباب لا الديوان (جوانبها) مكان : مساكنها . والتبديل جيد .

٩- واعصوصب الشر حتى لا ترى أحداً
الا ويرسف في الارزاء والنوب

وقد تغير الشطر الثاني في الديوان فجاء هكذا :

واعصوصب الشر حتى لا ترى أحداً
إلا يئن من الارزاء والنوب

وربما لاحظ الشاعر أن في التركيب الأول استعارة ناشئة من تشبيه الارزاء بالأغلال فابتعد عنها ، أو أنه لاحظ مجيء المضارع حالا بعد الواو من غير ضمير أو (قد) وهو مما يستبعد عند النحاة وان كان قد ورد في الشعر قليلا . ومثل هذا التبديل مر عند الشاعر وعقبنا عليه في القصيدة التاسعة عشرة .

١٠- لو ساعدتني الليالي ملت عن وطني
الى محل بعيد الصقع منشعب

والبيت ركيك وفيه كلمة (الصقع) النافرة وقد بدل في الديوان بعض مفرداته من غير ان تنهض بالتبديل الا قليلا فقال :

لو ساعدتني الليالي سرت من وطني
الى مكان بعيد منه منشعب

ولو قال : (عنه) بدل (منه) في الشطر الثاني لكان أنسب للبعد .

القصيدة الحادية والثلاثون (٤٥)

(القبر آخر منزل) وهي من منظوماته في سنة ١٩٠٧ م ومنها مختارات في الديوان وبيتان في اللباب وقد حدث التغيير في القليل من أبياتها وهي :

١ـ ساء الفتى أن قد أقام ببقعة
ليس الفتى في أرضها بمكرم

وفي الديوان : (يوما بها) بدل (في أرضها) في الشطر الثاني والتركيب الجديد لا يفوق التركيب القديم متانة ولعل شيئا من الضعف قد حدث وذلك بالباء الجارة التي تكررت ولم يفصل بين الاثنتين سوى الضمير (ها) وإن كانت الأولى بمعنى (في) والثانية زائدة في خبر (ليس) .

٢ـ ما زال هذا الكون سرا طاويا
في نفسه لحقيقة لم تفهم
والعقل يخبط لاكتشاف سبيلها
في جوف ليل للعماية مظلم

وفي الديوان : (سبيله) في البيت الثاني فكأنه اراد الكون لا الحقيقة التي عناها من قبل .

٣ـ علمت من الاشياء فيه ظواهر
وحقائق الأشياء لما تعلم

وفي الديوان : (بواطن) بدل (حقائق) والجديدة فيها مقابلة للظواهر .

---

(٤٥) الكلم ١٥٢ - ١٥٥ . والديوان ٣٠ - ٣١ . واللباب ١ - ٢ .

القصيدة الثانية والثلاثون (٤٦)

(لله أتعالى) وهي مقطوعة ذات خمسة أبيات وقد أثبت في اللباب منها البيت الأول والبيت الثاني ولم يثبت منها شيئا في الديوان وقد حدث التغيير في بيت واحد منها وهو :

بقيت برغم من دلالة مرشدي
بمنزلة بين الضلالة والهدى

وفي اللباب :

بقيت برغم العلم والحلم والتقى
بمنزلة بين الضلالة والهدى

لقد كان في الاول تابعا لغيره ثم تطور فاستقل بفكره ورأيه ، ولعلــه أراد الافلات من قبضة المرشد لئلا يفسر قولههذا تفسيرا صوفيــا وما هو بصاحب طريقة من الطرق الصوفية المعروفة آنذاك .

---

(٤٦) الكلم ١٥٥ . واللباب ١٠ .

القصيدة الثالثة والثلاثون (٤٧)

(أو رثائي أم أمامى) وهي مما نظمه في سنة ١٩٠٧ م وقد أثبت قسما منها مفرقا في الديوان ومختارات قليلة في اللباب وتغيرت العناوين هنا وهناك فيما بعد ، أما الأبيات التي تناولها بالتغيير والتبديل فهي :

١ـ ذهبت بعده السعادة عني
فاذهبي يا سعادتي بسلام

وفي الديوان : (تلكم) بدل : (بعده) . والضمير في العبارة القديمة (بعده) يعود الى الصبا في البيت السابق وكأنه بالتغيير لا يريد قصر السعادة على الصبا وحده .

٢ـ قد لجأنا الى الكرام بكاة
فاذا بالكرام غير كرام

وفي الديوان : (وإذا) والفاء كثيرة الاستعمال مع اذا الفجائية فلا ضرورة للتبديل .

٣ـ فبدت والنفوس ترنو اليها
بعيون مملوءة من غرام

يريد التي أدركها من ثاروا لأجلها ، وقد غير الجملة الأولى من البيت وجعل مكانها في الديوان : (بزغت) لتكون الاستعارة اكثر وضوحا :

---

(٤٧) الكلم المنظوم ص ١٥٦ـ١٥٩ والديوان ص ٣١ و ١٩٨ و ٢٩١ ، واللباب ١١ ـ ١٢ .

٤- إننى إن عصيت نفس هواها
خاصمتنى نفس ألدّ الخصام

ثم بدل (ألد) من كلمة (أشد) والتبديل أنسب ، فالمشهور أن يقال : فلان ألد الخصام اي : شديد الخصومة ، ولا يقال : خصام ألد ثم تضاف الصفة الى الموصوف اذ ليس الموصوف هنا وهو الخصام ذاتا أو منزلا بمنزلة الذات وانما هو اسم معنى وكلمة (ألد) إنما توصف بها الذات .

٥- رغبتنى وبعد ان ورطتنى
أخذت فى ملامتى وملامى

وفي الديوان : (ورطتني) مكان : رغبتني ، والتغيير مناسب .

٦- عممت بينها المعارف حتى
وفرت قوة مع الايام

يريد دولة الانكليز التي ذكرها قبل هذا البيت صراحة بقوله :

وحيا الانكليز بحرا عليه
تسبح المنشآت كالأعلام
دولة بالعدالة استمسكت والـ
ـعدل فى الملك سلم للتسامى

ثم عممت بينها المعارف ، وقد حذف البيتين مع غيرهما في الديوان واللباب وهذا الحذف الجأه الى تغيير البيت السابق فجاء فى الديوان هكذا :

أمم الغرب عمموا العلم حتى
وفروا قوة مع الايام

القصيدة الرابعة والثلاثون (٤٨)

(الغريب المحتضر) وقد نظمها في سنة ١٩٠٧ م وهي طويلة جمع فيها بين الجيد والرديء ولا سيما المقطع القصصي منها فقد كان شبيها بقصائده القصصية الأخرى التي يطغى عليها اسلوب النثر المتكلف ، ومعظم هذه القصيدة قد أعاده في الديوان ، ثم اعاد الكثير منها في اللباب . أما ظاهرة التغيير فانها تتمثل في الأبيات التالية :

١ـ أموت بعيدا عن دياري وعن أهلي
فمن يا ترى يبكي حوالتي من أجلي ؟

وهذا أول القصيدة ولم يتغير شيء منه في الديوان ولكن شطره الثاني تغير بعضه في اللباب فجاء مع الشطر الاول هكذا :

أموت بعيدا عن دياري وعن أهلي
ولا أحد يبكي حوالتي من أجلي

والفرق بين الاستفهام في التركيب الأول والنفي في التركيب الثاني كالفرق بين الأمل واليأس وإن كان في الاستفهام هنا لمح من الاستبعاد :

٢ـ وهل حينا منه بلدى الأثل نازل
كما كان قبلا ، واحنانى على الأثل

ثم تغير الشطر الثاني في الديوان فجاء البيت هكذا :

---

(٤٨) الحكم ١٥٩ - ١٦٣ : والديوان ١٠٣ - ١٠٥ واللباب ٤ - ٥ :

وهل حينا منه بذي الأثل نازل

كما كان أم هل غادر الحى ذا الأثل

وفي التغيير نهوض بالبيت فقد كان الشطر الثاني ركيكا وبخاصة قوله : واحناني ... فان هذا التعبير ألصق ما يكون بلغة المرأة منه بلغة الرجل ، ولو أنه استعمل فى التركيب الثاني (فارق) بدل (غادر) لكان قد ألف بين مفردات البيت تأليفا ينسجم مع طبيعة الأداء الذي استلفه من التراث القديم بشكله ومضمونه .

٣- بلاد سكناها ونحن من الصبا

بحيث النسيم الطلق يعبث بالطل

وفي الديوان : (الحمى) بـدل (الصبا) وكأنه اراد توثيق الصلة بين الشطرين .

٤- أبان أناس شاهدونى أننى

مصاب بداء السل ويحى من السل

وفي الديوان :

لقد قال ناس شاهدونى إننى الخ

والتغيير جيد فرارا من فعل (أبان) المستكره هنا .

٥- ويا أبتى أخبر حنانا اميمتى

بأنى زلت بى الى هوة نعلى

وفي الديوان : (ويا أبتا) بدل (يا أبتى) . و (ورجلى) بدل (نعلى) وتغيير المفردة الثانية جيد فانهم كانوا يقولون : زلت به قدمه ، أما قلب الياء ألفا في قوله : (يا أبتى) فلم يغنه شيئا اذا كان يريد الالتزام بالقاعدة النحوية

لأن (أبت) في النداء إنما تكون بالتاء حسب مفتوحة أو مكسورة ولا يجوز ذكر الياء لأن التاء عوض عنها وكذلك لا يجوز ذكر الألف منقلبة عن الياء وقد ورد في الشعر ذكر الياء والالف وعد من الضرورات ولكن الألف أخف فاختار الشاعر أهون الضرورتين . وقديقال : إن الالف ليست منقلبة عن الياء بل هي التي تلحق المنادى البعيد والمندوب والمستغاث فلا ضرورة حينئذ(٤٩) .

٦- ويا أبتي أخبر (جنانا) حليلتي
بأني موت فلتحافظ على طفلي

وفي الديوان واللباب : (ويا أبتا أنبىء) وفي اللباب وحده : (قرينتي) بدل (حليلتي) ونقول في (ياأبتا) ما قلناه في البيت السابق . أما فعل (أنبىء) ففيه فرار من تكرار (أخبر) الذي ورد في البيت السابق . وكلمة (قرينتي) تعبير فيه مجاملة وتكريم للمرأة اكثر من العبارة السابقة التي لا تعنى إلا كون المرأة متاعا للرجل ، وهذا يدل على تطور في تفكير الزهاوي .

٧- فلما قضى نحبا وجاء نعيه
الى أبويه ضيعا الرشد من ذهل

وفي الديوان واللباب : (طار) بدل (جاء) ولعله يريد بالجديدة السرعة في وصول النعي .

٨- وصكت (حنان) أمه الوجه للجوى
وعضت بأطراف البنان من الثكل

---

(٤٩) انظر حاشية الخضرى على ابن عقيل ٧٩/٢ مطبعة دار إحياء الكتب العربية . القاهرة .

وفي الديوان واللباب : (الأسى) مكان (الجوى) والجديدة ألصق بالحزن من القديمة التي تعني العشق أو الحزن .

٩ - ولو كان سهلا ما أصاب احتملته
بنيّ ولكن ليس خطبك بالسهل

وفي الديوان واللباب :

ولو كان خطبي فيك سهلا حملته
بنيّ ولكن ليس خطبي بالسهل

والصياغة الجديدة أمكن من الصياغة الأولى .

١٠ برغم حنان أهلك الدهر نجلها
وأبكى حنانا من حنان الى النجل

وفي الديوان : (على النجل) وهو الصحيح : ولكن تكرار حنان ليس فيه قوة ولا سيما الجناس في الشطر الثاني .

١١ - لقد كذبوا هذا أبو الفضل قادم
اليّ سليم الجسم يمشي على الرجل

لقد كذبوا هذا أبو الفضل شخصه
أتانيَ هشّ الوجه يهتز كالنصل

والبيتان في الديوان لم يتغير شيء منهما ولكنه في اللباب لفق منهما بيتا واحدا فقال :

لقد كذبوا هذا أبو الفضل عائد
اليّ سليم الجسم يهتز كالنصل

فغير كلمة (قادم) بكلمة (عائد) وأخذ بقية الشطر الثاني من البيت الثاني فأكمل بها البيت الاول وهو صنع جيد استغنى به عن التكرار والضعف السابق .

١٢- وفيت بموعود الرجوع إلى يا
أبا الفضل لكن بعد طول من المطل

وفي الديوان : (وفيت بوعد في الرجوع . .) وفى اللبــاب : (وفيت بوعد للرجوع . .)

ومهما يكن من أمر التغيير فإنه أفضل من الشكل القديم فالمشهور أن تأتي كلمة (الوعد) مع الوفاء ، أما (موعود) فانها ركيكة هنا .

١٣- يجيء إليها (مصلح الدين) سائلا
فتستر عنه الوجـه فى الشعر الجثـل

وفى الديوان : (بالشعر) والباء أصلح هنا من (في) لأنه يريد الاستعانة على الستر وهذا المعنى للباء ، أما أنها تخفى وجههـا فى الشعر بتضمين الفعل معنى الفعل فهو توجيه نسوقه على ضعفه وقد أراحنا الشاعر منه بالتغيير .

القصيدة الخامسة والثلاثون (٥٠)

(لو يعلم القبر) وهي في رثاء أخيه عبد الغني الزهاوي ومن منظوماته في سنة ١٩٠٧ م على وجه التقريب وقد استعان على نظمها بالتعابير والمعاني القديمة . ولم يثبت منها في الديوان سوى مقاطع قصيرة كما أثبت بعض أبياتها في اللباب لذلك كان التغيير قليلا فيها إذا نظرنا الى ما في الديوان واللباب منها . أما الأبيات التي حدث فيها التغيير فهي :

١ـ تضمن منك القبر لو يعلم القبر
جليلا بكاه الناس والعلم والشعر

وفي الديوان : (أديبا) بدل (جليلا) وكأنه أراد فيها بعد إثبات صفة الادب لاخيه في أول القصيدة وهي من صفات الانسان أما القديمة فانها تعني الناس وغير الناس فيقال : خطب جليل ، واستعمالها مع الاضافة في وصف الانسان اكثر من استعمالها مجردة ، وفي الشطر الثاني التفات لقول ابي تمام من قصيدته في رثاء الطرسي :

يعزون عن ثاو تعزّى به العلى
ويبكي عليه البأس والجود والشعر (٥١)

× × ×

(٥٠) الكلم ١٦٦ ـ ١٧١ . والديوان ١٦٦ ـ ١٦٧ . واللباب ١٠ .

(٥١) ديوان ابي تمام ص ٣٢٠ مطبعة حجازي ـ ١٩٤٢ م القاهرة .

٢- نداء أخ قد زار قبرك سائلا

لتخبره هل صان أجزاءك القبر

وفي الديوان واللباب : (أوصالك) بدل (أجزاءك) والتغيير جيد .

٣- رحلت من الدنيا وخلفت للأسى

أخا لك حلو العيش في فمه مر

وفي الديوان : (عن الدنيا) والرحيل تناسبه (عن) لا (من) .

٤- أخا لك أبكى الدهر بعدك عينه

وكان قديما فيك يضحكه الدهر

وحدث في الشطر الثاني تغيير فجاء مع صاحبه في الديوان هكذا :

أخاً لك أبكى الدهر بعدك عينه

وقد كان قبلا فيك يضحكه الدهر

ولا شيء في التغيير سوى المقابلة بين قبل وبعد ،أما (فيك) فقد بقيت على حالها وهي غير جيدة هنا لانه يريد السبب وهو (للباء) أما (في) فقد تفيد التعليل ولكن المعنى : كان يضحك بسبب وجود أخيه لا لاجل أخيه الا اذا كان بين السبب والعلة ترادف ،

٥- يقولون لى اصبر يا جميل على الذي

أصابك من رزء وأنى لى الصبر ؟

وفي الديوان : (يقولون: صبراً ياجميل . . .) ولا فرق بين الامر والمصدر النائب عنه في اللفظ والمعنى لولا الفرار من التقاء الساكنين الياء والصادوهذا الالتقاء يستلزم حذف الياء في اللفظ وهو جائز في الشعر والنثرفلا ضرورة للتغيير .

٩- فكنا غصونا انت زهرة روضها
وكنا نجوما أنت في بينها البدر

وفي الديوان : من بينها ، و (من) في هذا المكان أفضل ولو قال : انت ما بينها لكان جيدا ، ولا يفوتنا ان الشاعر أخذ الشطر الثاني من قول أبي تمام:

كأن بني نبهان يوم وفـاته
نجوم سماء خر من بينها البدر (٥٢)

---

(٥٢) المصدر السابق والصفحة نفسها .

القصيدة السادسة والثلاثون (٥٣)

(الشعر المرسل) وهو مما نظمه في حدود سنة ١٩٠٧ م وهذا الشعر الذى جاء به الزهاوى ينتظمه وزن واحد وهو الطويل ولكنه لا يتقيد بروى واحد أو ضرب واحد من أضرب الطويل . وفي بعض ما اعاد نشره في الديوان تغيير هو كالآتي :

١- يعيش نعيم البال عشر من الورى
وتسعة أعشار الورى بؤساء

وفي الديوان :

يعيش رخى البال عشر من الورى
وتسعة أعشار الأنام مناكيد

ولعل الذي الجأه الى هذا التغيير مفردتا (نعيم) و (بؤساء) أما الاولى فهي بمعنى الرغد والدعة في الغالب ولا يوصف بها الشخص الا قليلا فيقال: رجل نعيم البال اي : هادئه . ولكن قربها من المصدرية أشد ، واستعمالها وصفا مستكره . واما الثانية فهي جمع (بئيس) من البأس اي :الشجاعة(٥٤) ولا مناسبة لها في البيت لان الشاعر يريد (البؤس) والوصف منه (بائس) والجمع (بائسون) لذلك غير المفردتين الى ما يناسب المعنى .

---

(٥٣) الكلم المنظوم ١٧١ ـ ١٧٥ والديوان ٣١ ـ ٣٢ . واللباب ص ٢ .

(٥٤) انظر (قل ولا تقل) للدكتور مصطفى جواد ـ ج١ ص١٦ مطبعة اسعد ١٩٧٠ بغداد .

٢- أما فى ىى الأرض العريضة مصلح
يخفف ويلات الحياة قليلا

وفى الديوان : (قادر) بدل : مصلح . لان المصلح قد يكون غير قادر على التخفيف .

٣- أفي الحق أن البعض يشبع بطنه
وأن بطون الاكثيرين جياع

وفي الديوان : (تجوع) بدل : جياع . ولا فرق بين المفردتين ولكنه اراد التجانس بين الفعلين (يشبع) و (تجوع) .

٤- اذا قلت حقا خفت لوم مخاطبي
وإن لم أقله خفت لوم ضميري

وفي الديوان تغيير فى الشطر الثاني وهو :

اذا قلت حقا خفت لوم مخاطبي
وان لم أقل حقا أخاف ضميري

والاداء القديم أنسب من الجديد الذي كرر فيه (حقا) . لذلك عادالى القديم فى اللباب :

٥- رأيت جياعا فاخروا بثيابهم
فأضحكني ما قد رأيت وأبكاني

وقد اثبت البيت في الديوان كما جاء فى الكلم المنظوم ولكنه في ثبت الخطأ والصواب من الديوان لم يرض بعبارة (فاخروا بثيابهم) وعدها من الخطأ ووضع ازاءها في جدول الصواب عبارة (يفخرون بجوعهم) وقد يكون

هذا الاستدراك متأخرا ولكنه مناسب وإلا فما معنى فخر الجائع بثوبه ؟ايكون من قبيل عزة النفس ، والثوب رمزها ؟ .

٦ـ أنا اليوم أمرى فى يدى غير أننى
أحاذر أن الأمر يخرج من يدى

وفي الديوان :

أنا اليوم أمرى فى يدى غير انني
أحاذر من أن يخرج الأمر من يدى

والتغيير على بساطته افضل من الشكل القديم .

٧ـ اذا كان في بيت مريضا عزيزه
فكان ذاك البيت كلهم مرضى

وغير في الديوان كلمة (عزيز) بكلمة (رئيس) والتغيير حسن لانه يريد تصوير حالة سياسية او اجتماعية والرئيس اولى بهذه الصورة التى صورها الشاعر من النصوص القديمة ومنها الحديث النبوي المشهور: «مثل المؤمنين في توادهم . . . مثل الجسد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى . » ولكن الشطر الأول من البيت لا ينسجم مع الاساليب المألوفة لان الشاعر لا يريد مرض الرئيس في البيت وانما يريد مرض رئيس البيت وهذا يعني انه فصل بين (كان) ومعموليها بغير معمول الخبر وما في النحاة من يجيز ذلك الا إذا تكلفنا التعليق بالخبر . وليس هذا كقول معاوية بن صعصعة فى عمه الاحنف بن قيس السعدي :

وكان لسعد رأيه أمس عصمة
فلم يخطلا الاصدار فيهم ولا الوردا(٥٥)

---

(٥٥) وقعة صفين ـ لنصر بن مزاحم ـ ص٢٦ ط ٢ ـ ٣٨١٢ هـ مطبعة المدني ـ القاهرة .

٨ـ أسرّ مكان في الطبيعة ربوة
الى جانبيها روضة وغدير

وفي الديوان :

أسر مكان لى على الأرض ربوة
الى جانبيها روضة وغدير

والتغيير لم يأت بجديد يفضل السابق لذلك عاد في الباب الى العبارة القديمة .

٩ـ لأحسن اوقات الفتى وقت نومه
اذا كان ذاك النوم خلوا من الحلم

وفي الديوان : (وأحسن) في بداية البيت وسبب التغيير ان الشاعر حذف بيتا يفصل بين هذا وسابقه فناسب بالعطف بين (أسر) و (أحسن) ؟

القصيدة الرابعة والثلاثون (٥٦)

(كأن الشرق ليس له فم) وهي مما نظمه فى سنة ١٩٠٧ م وجاء التغيير في بعض أبياتها حين اعاد قسما منها في الديوان . والابيات هي :

١- وإن له فى البر جيشا عرمرماً
يؤيده في البحر جيش عرمرم

يريد به (الغرب) وفي الديوان : (يماثله) بدل (يؤيده) وهو جيد .

٢- ترقىّ فلما اشتد ساعده عتا
فبات يغيظ الشرق والشرق يكظم

وفي الديوان : (وبات) فانتقل من الترتيب الى التشريك وهو جيد .

٣- يطيل على إجحافه واعتسافه
سكوتا كأن الشرق ليس له فم

يريد إجحاف الغرب واعتسافه بالشرق ، وفي الديوان :

يطيل على إجحافه بحقوقه الخ . .

والجديدة لا تفضل القديمة ولكنها تفسر الاجحاف .

٤- فيا أيها الغرب المدل بنفسه
رويدك مــا هذا الجفـاء المذمم

---

(٥٦) الكلم ١٧٥ - ١٧٧ . والديوان ٢٩٢ - ٢٩٣ .

وفي الديوان : (الغرور) مكان (الجفاء) والجديدة افضل من القديمة فليس الموضوع موضوع غرام وعتاب وهل كان الغرب محبا ثم جفا ؟

٥- ألم يك هذا الشرق فى الزمن الذي
مضى لك استاذا كبيرا يعلم

يخاطب الغرب ، ولكنه قال في الديوان :

ألم يك هذا الشرق من قبل اعصر
مضت لك أستاذا كبيرا يعلم

والتعبير القديم أفضل من الجديد فالزمن أشمل من الاعصر التى تعنى القلة .

٦- رويدك لا تغتر بالدهر كل ذا
فليس بباق فيه بؤسى وأنعم

وفي الديوان : (إن صفا) موضع (كل ذا) في نهاية الشطر الاول والتغيير جيد فالقديمة تعنى حذف البدل وهو (الاغترار) المفهوم من الفعل إذ المراد : كل هذا الاغترار ، وفي الحذف هنا ركة ؟

٧- ألا اصبر عليه نصف قرن فانه
سيرقى به لو أنه مثلك يسلم

وفي الديوان : (عصر) بدل (قرن) واذا كان القرن محدودا فليس العصر بمحدود الا بما يرافقه من اوضاع اخرى فلا يقال نصف عصر او ربع عصر ، لذلك كانت القديمة افضل من الجديدة على ان هذا التحديد ليس الا من لغة المقالات السياسية التى قد تتنبأ بما يحدث .

٨- ستترقى بلاد الشرق بعد هبوطها
لو ان بنيها استيقظوا فتعلموا

وفي الديوان : (انحطاطها) بدل (هبوطها) والتبديل جيد. كما جاءت الواو بدل الفاء في قوله : (فتعلموا) للتشريك بين الاستيقاظ والتعلم وهو جيد ايضا.

٩- فتمنحها من طيب نفس مجالساً
نيابية فيها العدالة تحكم

وتركيب الشطر الاول ركيك ولكنه لم يغير منه سوى (من) فجاءت مكانها (عن) والجديدة هي المناسبة في مثل هذا التعبير .

القصيدة الثامنة والثلاثون (٥٧)

مقطوعة يصف بها الحمام القلاب وقد غير فى بيت واحد منهـا مفردة واحدة وهي (زينة) فوضع مكانها كلمة (بهجة) والبيت هو :

تقلب بانتظـام فى الهـواء
حمائم هن زينة كل رائى

والتغيير جيد ، ولم نلتفت الى رسم (رائي) فهي فى الكلم بدون ياء ولكن الياء اثبتت في الديوان وليست هذه المفردة الوحيدة من المنقوص جاء رسمها غير صحيح في الكلم فلها مثيلات .

---

(٥٧) الكلم ١٨٢ والديوان ١٣١ .

القصيدة التاسعة والثلاثون (٥٨)

(الانسان في المستقبل) وهي من القصائد التي نظمها قبل اعلان الدستور ولم يرد ذكر لتأريخ نظمها ، وهذه القصيدة أضاف اليها الشاعر وحور فيها سنة ١٩٢١ م وألقاها في حفلة أقامها حاخام اليهود في داره ببغداد لكريما لفيصل حين استقدمه العراقيون ليكون ملكا عليهم ، وكان الزهاوي أحد المحتفلين بفيصل فألقى هذه القصيدة بعد أن صدرها بكلمة ، ونشرت هي والكلمة في جريدة العراق آنذاك . وأولها :

سيهذب المستقبل الانسانا

حتى يكون أبر مما كانا

أما التغيير الذي حدث فيها سواء أكان في الجريدة أم في الديوان بعد ذلك فكما يأتي :

١- حتى يوالي كل من هو غيره

حتى يرى كل الورى إخوانا

وجاء الشطر الأول في الجريدة :

حتى يوالي غيره من نوعه الخ

وجاء في الديوان :

---

(٥٨) الكلم المنظوم ١٨٢ - ١٨٣ وجريدة العراق - العدد ٣٤٧ السنة الثانية - ١٩ تموز - ١٩٢١ . وللديوان : ٢٦٥ .

حتى يوالي غيره فى أرضه   الخ

وليس لنا من تعليق على كل ما حدث من تغيير فالركة كما هي لم تتغير ، ولكن ذلك يفسر لنا اضطراب الشاعر في فكره ولغته ،

٢- حتى يشيع العلم بعد نزوره
بين الـورى فينور الأذهـانا

وفى الجريدة :

حتى يعم العلم بعد خصوصه
كل الورى وينور الأذهـانا

ثم عاد البيت في الديوان بعد العموم والخصوص الى ما كان عليه فى الكلم المنظوم ويخيل إلى من هذا وغيره ان الشاعر استعان بالكلم المنظوم حين اثبت ما أثبته في الديوان ولم يرجع الى الجريدة فقد تكون آنذاك ليست في متناول يده .

٣- حتى تعز الارض بعد هوانها
وتنال بعد خرابهـا عمرانا

وفى الجريدة : (وتحوز) بدل (وتنال).فى الشطر الثاني ولكن الديوان أثبت البيت كما كان في الكلم .

٤- حتى يسود الأمن فى اكنافها
حتى يعم فيسعد السكانا

والبيت فى الديوان كما هو في الكلم ولكنه في الجريدة جاء هكذا :

حتى يسود الأمن فى أرجـائها
حتى يشيع فيسعد السكانا

٥- وحكومة الأوطان جمهورية
ما إن تطيع لغيرها سلطانا

وهذه دعوة صريحة الى قيام حكومة جمهورية ولكن هذه الدعوة لا يمكن ان تكون أمام فيصل المرشح لعرش العراق لذلك تغيرت هذه الكلمة في الحفلة والجريدة فجاءت مكانها كلمة (دستورية) لأنها تناسب الوضع السياسي آنذاك . أما في الديوان فقد عادت (جمهورية) الى مكانها من البيت ولكن عبارة (لغيرها) في الشطر الثاني تغيرت فصارت (لمفرد) وفي الجديدة معنى لا تؤديه الأولى وهو استئثار الأفراد بالحكم ، وحكم الفرد يتنافى مع ارادة الجمهورية .

٦- وهناك يتخذ الوئام بطبعه
بين الأنام من الحروب مكانا

وفي الجريدة :

فهناك يتخذ السلام لنفعه
بين الأنام من الحروب مكانا

وكلمة (السلام) مناسبة فقد كان التغيير بعد الحرب الأولى وبعد ثورة العشرين في العراق ، والناس يتحدثون بالسلام وإشاعته بين الشعوب . وجاء البيت في الديوان هكذا :

فهناك يتخذ السلام بطبعه
بين الأنام عن الحروب مكانا

فلفق البيت من الكلم والجريدة ولكنه بدل (من) في الشطر الثاني وهي بمعنى العوض والبدل ، و(عن) مثلها في هذا المعنى .

٧- وهناك تبتسم المنى فى أوجه
مضمونة ان لا ترى حرمانا

والبيت في الجريدة كما هو فى الكلم ولكنه في الديوان لحق شطره الثاني تبديل فكان كما يأتي :

وهناك تبتسم المنى فى أوجه
صعب عليها ان ترى حرمانا

وعبارة (مضمونة) فى البناء السابق ركيكة ولكن التغيير لم ينهض بشيء.

٨- تعسا لثائرة الحروب فإنها
تفنى الغنى وتخرب البلدانا

وليس لهذا البيت ذكر في الجريدة ولكنه في الديوان تغير شطره الثاني فجاء هكذا :

تعسا لثائرة الحروب فانها
تردى النفوس وتتلف البلدانا

والتغيير جيد فما عسى ان تفعل الحروب غير هذا ؟ أما عبارة (تفنى الغنى) كما في الشكل الأول فليست إلا تصرفا مضطربا بتعابير القدماء من قولهم : أفنى التلاد أو المال .

٩- وتؤيِّم النسوان بعد بعولها
فى ساعة وتيتم الولدانا

وفي الديوان : (من أزواجها) مكان قوله : (بعد بعولها) وكلمة (بعد) تناسبها الباء لا (فى) فكأنه أراد ان يقول : بعد بعولها بساعة فلم يسعه الوزن لذلك غير فى الشطر الاول ليمهد للشطر الثاني ولكنه لم يستطع ان ينهض بالتركيب إلا قليلا .

القصيدة المتممة للاربعين (٥٩)

(التعاون) وقد نظمها ابتهاجا باعلان الدستور العثماني في سنة ١٩٠٨ م وأثبت قسما منها في الديوان تحت عنوان (الاتحاد) وخمسة أبيات في اللباب وكان للتغيير اثر بارز فيما اعاد نشره منها حتى انه التهم بعض الأشطر برمتها . قال :

١ـ حزب التعاون فى الدنيا هو الناجي
نمشى على ضوئه فى ليلنا الداجى

وهذا أولها وقد تبدل منه الشطر الاول فجاء البيت كما يلي :

نفديك من كوكب للرشد وهاج
نمشي على ضوئه فى ليلنا الداجى

والذي نلاحظه ان التبديل جاء مناسبا للانسجام بين الشطرين ولتستكمل الصورة أجزاءها في هذه الاستعارة ،فهل كان الشاعر يقصد الى هذا الانسجام حين غير وبدل فجاء بهذا الشطر الذى يفضل سابقه بكثير من حيث المتانة والمعنى؟ وهل فكر في هذه الصورة الجديدة قبل التغيير ؟ او أنه اراد الهروب من (حزب التعاون) وهو يعنى به حزب الاتحاد والترقي الـــذي لقر منه العرب فيما بعد وعدوه في جملة اعدائهم؟ ليس لدينا مايرجح أحد القصدين

---

(٥٩) الكلم ١٨٣ ـ ١٨٤ . والديوان ٢٧٤ . واللباب ٢٥ ـ ٢٦ .

هل الأخر اذا نظرنا الى القصيدة في شكلها الجديد واذا اضطررنا الى الترجيح فلا نختار غير القصد الاول وهو جانب الشكل .

٢- قد أفلحت أمة فى قصده نهجت
فإنــه للترقى خــير منهــاج

وتبدل الشطر الاول في الديوان تبديلا تاما فكان مع الثاني هكذا :

بالاتحاد اعتصم إن كنت معتصما
فانــه للترقى خــير منهــاج

قد يوهم الشاعر بأنه يريد الاتحاد والترقى بمعناهما العام ولكنه لم يخرج عن التسمية التي سمى بها ذلك الحزب نفسه . ولعل فى ذكر الاتحاد معاودة لتأكيد صلته بذلك الحزب . وهذا البيت قد يفسر لنا اتجاهه في البيت الاول بعد التغيير .

٣- إن الذي أصبحت عيني تشاهده
قد أبهج القلب مني أيّ إبهاج

وفي الديوان : (أخذت) بدل (أصبحت) و (النفس) بدل (القلب) ولا ضرورة لهذا التغيير في العبارتين ولعــل عبارة (أصبحت) أفضل من الجديدة في تصوير المظهر الذي أحدثه إعلان الدستور فقد كان أشــبه ما يكون بفجر جديد في الدولة العثمانية .

٤- خود العدالة يا قلبي السعيد وفت
بوعدها وهي كل السؤل والحاج

وفي الديوان : (أرى) بدل (خود) و (الكئيب) بدل (السعيد) وفي التغيير الاول انتقال من التشبيه الى الاستعارة ، أما الثاني فلعله أدرك ان السعادة

ينبغي ألا تكون موجودة قبل إعلان الدستور والما كانت الحياة للدهر الى الكآبة ، على أن القديمة ليس فيها بأس لأنها باعتبار ما يكون او ما هو كائن وقت إعلان الدستور .

٥- هى الحبيبة تحمى عزّ ساحتها
من التعرض أيدي حزبها الناجى

وفي الديوان :

هي الحبيبة تحمى اليوم حوزتها
من التعرض ايدي حزبها الناجى

انتقال من هبوط الى هبوط!! أليس في لغة الشعر ما يفضل الساحة والحوزة ازاء الحبيبة ؟ .و كلمة (التعرض) التي أبقاها في مكانها أليست هي الاخرى اقرب ما تكون الى العامية المبتذلة منها الى لغة الشعر ؟ .

٦- من كل أروع لا يخشى منيته
وخائض فى غمـار الروع ولاج

وفي الديوان : (وخائض لغمار الهول . .) فى الشطر الثاني ، وكلمـة (الهول) الجديدة أفضل من (الروع) القديمة ، فالروع خوف وليس فيه مدح لخائضه كالذي يفهم من الهول ، أما اللام في قوله : (لغمار) فلا ضرورة لها اذا اراد تعدية اسم الفاعل الذي يتعدى بنفسه ؛ فإن حرف الجـر (في) الذي تضمنه التركيب السابق أثبت في هذا المكان من اللام .

٧- لولا اعتصامى بحبل من حمايتها
لطال في الذل تأويبي وإدلاجى

وفي الديوان :

لولا بقية آمـال تعللني

لطال في اليأس تأويبي وإدلاجي

شطر بكامله سوى كلمة (لولا) قد تغير ، ومفردة من الشطر الثاني ، ولم حدث هذا ؟ لعل الشاعر أدرك فيها بعد أنه استعان بالآية : « واعتصموا بحبل الله . . » فتجنب هذا الأخذ دفعا لتهمة التقليد والمحاكاة ، او انه عبر عن حالة شعورية استحوذت عليه بعد ذهابه الى مصر وهي حالة التذمر والقلق . اما كلمة (اليأس) الجديدة فهي مناسبة للآمال التي جدت في الشطر الأول .

٨ـ ملتفة الجسم في ثوب يجللها

وذلك الثوب من وشي وديباج

كل هذا استعارة في العدالة ولا وشى ولا ديباج ولكن (ملتفة الجسم) من اساليب الغزل المادي وفي الاستعارة ُبعدٌ ، وكلمة (الوشى) تعني تطريز الثياب وهذا من المعاني او انها الثياب الموشية فعطف (الديباج) عليها وهو اسم ذات وجنس ليس فيه تناسب لذلك قال في الديوان :

حسناء ترفل في ثوب يجللها

وذلك الثوب من خز وديباج

والتغيير جيد والعطف مناسب .

٩ـ مشت تمايل والأحرار تتبعها

الى الحديقة فوجا بعد أفواج

وفي الديوان :

مشت من البهو والأحرار تتبعها

الى الجنينة فوجا بعد أفواج

قد تكون كلمة (البهو) أعجبته فيما بعد وليس فيها من قوة تدمغ العبارة الاولى فالاستعارة التخييلية باقية والعدالة كما هي سواء مشت تتمايل أم مشت من البهو وقد يكون قصده الابتداء والانتهاء ولكن أين البهو في بغـداد ؟ أيريد مقر الوالى في (السراى) ؟ أم يريد بهو السطان فى الآستانة حيث اعلن الدستور ؟ كل ذلك ممكن اما الجنينة او الحديقة فليس فيها هنا ما يدل على شاعرية أو قدرة في الصياغة سوى تسجيل المكان فى القصيدة .والجمع (أفواج) انما جاءت به القافية فقد اراد ان يقول : فوجا بعد فوج ولكن القافية اضطرته الى الجمع .

١٠ـ حزب على خلفة الأديان متحد

أكرم بحزب اتحاد ثم أمشاج

والشطر الثاني من هذا البيت لا يـدل على مدح اذا جرد من الكلمة (اكرم) ومن شـطره الاول وإلا فكيف يكون هذا الحزب ممدوحا وهو مجموعة أخلاط ؟ لقد كان في ذهن الشاعر معنى لم يستطع التعبير عنه ،اراد ان يقول : إن حزب الاتحاد والترقي جمع المتفرقين والمختلفين وألف بينهم فهو اجتماع بعد فرقة واتحاد بعد خلفة ولكن خانه التعبير - كما يقولون - فوقع في هذا التناقض ووصف الحزب بعد قيامه بكونه أمشاجا وان لم يكن ذلك من قصده . ولهذا السبب غير الشطر الثاني في الديوان تغييراً يصلح المعنى ويدفع هذا التناقض فقال :

حزب على خلفة الأديان متحد

اكرم به لم يكن قبلا بأمشاج

× × ×

١١- معشوقتي عن هواها لست منصرفاً
لو قطعوا بسيوف الغدر أوداجي

اراد : ولو قطعوا . . . وهذا هو التعبير السليم كما قال امرؤ القيس :

فقلت يمين الله ابرح قاعدا
ولو قطعوا رأسي لديك وأوصالي(٦٠)

ومثله : « وإن قطعوا . . . » أي : حتى في هذه الحال لا ينصرف عن هواه ولكن (الواو) ندت عن الوزن في بيت الزهاوي فلا يمكن إثباتها ، وبعدم ذكرها اختل المعنى وبقي الشرط وحده غير مقرون بما يدل على الحال لذلك غير العبارة من الشطر الثاني في الديوان فقال :

معشوقتي عن هواها لست منصرفا
ولو فروا بسيوف الغدر أوداجي

وبهذا التغيير أصلح المعنى وناسب بين الفعل والاوداج :

١٢- وقفت والعين تبكي من مسرتها
أمام قوم من الافراح عجاج

وفي الديوان : (أمام شعب . .) في الشطر الثاني والجديدة أقوم وأفضل لأن القديمة وهي (قوم) اسم جمع يجوز إفراد ضميره وجمعه ولكن العرب كانوا يعيدون الضمير عليه جمعا وكانوا يصفونه ويخبرون عنه بالجمع

---

(٦٠) ديوان امرىء القيس ص ١٤١ دار صادر - بيروت - من غير تأريخ ، وهذا البيت من شواهد النحو في الأفعال الناقصة .

وعليه جرى اسلوب القرآن فقد اشتمل على آيات كثيرة فيها هذه المفردة ولم تستعمل الا جمعا في المعنى وفيما يرد عليها من الألفاظ ، وكذلك جرى اسلوب الشعر القديم في استعمال هذا الاسم فوصفه بالمفرد (عجاج) كما في بيت للزهاوي غير سليم وإنما هو من أثر الأساليب التركية لذلك تداركه بالتغيير الذي ذكرناه :

١٣- ان الرعية إن هاجت عواطفها
كالبحر يضرب أمواجا بأمواج

وفي الديوان : (إن الشعوب إذا ..) في بداية الشطر الاول والتغيير جيد يناسب لغة الشعر الحديث والافكار السياسية الجديدة لأن التعبير بالرعية من أساليب القدماء .

القصيدة الحادية والاربعون(٦١)

(عيد ومأتم) وهذه آخر قصيدة له في الكلم المنظوم وقد أنشدها ببغداد في رثاء صديقه (رجب باشا) ناظر الحربية وكان هذا قد مات بعد إعلان الدستور بأيام ، ولم يقتصر الشاعر فيها على الرثاء الذي كان آخر مقطع منها بل استوحى إعلان الدستور في مقدمتها وجعل هذا الموضوع أهم غرض فيها.
وقد أعاد معظمها في الديوان بعد ان صيره قسمين وفرقه فجعل الاول تحت عنوان: (عيد الحرية) والثاني تحت عنوان : (عهد ومأتم) كما في الكلم وهو مقطع الرثاء ولم يثبته كله في الديوان ، اما التغيير الذي حدث فيها فهو :

١- قد كانت الناس قبل اليوم باكية
من الأسى وهي تبكي اليوم من طرب

وفي الديوان : (العين) بدل (الناس) وهو انتقال من كل الى بعض وليس لهذا الانتقال من تفسير لفظي فبكاء الناس تعبير عن الحقيقة كبكاء العين وان كان فيه مبالغة ولعله استكثر على الناس ان يبكوا ـ قبل اعلان الدستور ـ فاكتفى بالتعبير عن نفسه او عن جنس العين لا عين واحدة .

٢- البرق أهدى لنا بشرى بها أمنت
ارواحنا بعد طول الخوف والرهب

وفي الديوان : (هدأت) مكان (أمنت) ولا ضرورة لهذا التبديل فقد تكون القديمة أوفق من الجديدة في مقابلة الخوف .

---

(٦١) الكلم ١٨٥ ـ ١٨٨ ، والديوان ١٥٨ ـ و ٢٧٥ .

٣- جرده يا عدل جرده علانية
واحكم به بين مغصوب ومغتصب

اراد بالضمير (السيف) في بيت سابق وقد غير في الشطر الاول فكان:

جرده من غمده يا عدل مقتدرا الخ

وليس في التركيب الثاني من متـــانة تفوق التركيب الاول فقد ازداد الحشو ووهن البناء ولا زيادة في المعنى سوى حال الاقتدار التي لاضرورة لها.

٤- يعود منك الى بغداد شوكتها
مما مضى عهده في سالف الحقب

نعم يعود اليها كل ما فقدت
من دولة العلم والعرفان والأدب

وهذان البيتان يأتيان مباشرة بعد البيت السابق : (جرده يا عدل ..)
ولكنه في الديوان حذف البيت الاول منهما ثم لفق منه ومن الثاني البيت الآتي مع تغيير في بعض المفردات :

فقد تعيد الى بغداد ما فقدت
من دولة العلم والعرفان والأدب

والتغيير جيد مناسب للأداء فما كان في كلمة (نعم) سوى الحشو الركيك أما ذكر بغداد فلا بد منه لتوضيح المعنى لأن في إغفالها ما يوهم بارادة غيرها من الدولـة العثمانية ، وقد سبق للشاعر مثل هذا التلفيق في القصيدة الرابعـة والثلاثين :

٥- يا أيها الناس ان العدل غانية
محجوبة الطرف والخدين واللبب

وتغير الشطر الثاني في الديوان سوى القافية فجاء مع صاحبه هكذا:

يا أيها الناس ان العدل غانية

فتانة الوجه والعينين واللبب

هناك غزل مادي وهنا غزل مادي وإن جـاء في موضع التشبيه وهناك طرف وهنا عين ولا فرق بينهما ، ثم هناك خدان وهنا وجه فيه خدان ضمنا . فما الجديد فى هذا التبديل سوى (فتانة) ؟ .

٦- عم البلاد سرور لا يكدره

إلا وفاة أبي أحرارها (رجب)

وفي الديوان : (ينغصه) مكان (يكدره) وليس في الجديدة ما يشغل هذا المكان بقوة .

٧- ذاك الذي كانت الآمال تطلبه

لدفع ما حاق بالآمال من كرب

واعتبرت (الآمال) في الشطر الثاني الى (الأوطان) والتغيير جيد لأن فيه زيادة في المعنى وبعدا عن التكرار .

٨- لما نعاه لى الناعى ولا حظنى

سكت من دهشى عنه ولم أجب

والسياق ينتظر جوابا للما الشرطية لم يأت بعد ولكن الشاعر أجاب بجملة (سكت) في حين انها توهم بكونها حالا من ضمير المتكلم وهو (الياء) في (لاحظنى) لذلك دفع هذا الالتباس بالتغيير الآتي فقال :

لما نعاه لى الناعى يخبرنى

سكت من دهشى حينا ولم أجب

وقد جره هذا التغيير الى تحديد الزمن اذ لا ينبغي السكوت المستمر فقال : (حينا) :

٩ـ لقد بكتك على قاصى تباينها
طوائف الناس من ترك ومن عرب

وفي الديوان :

لقد بكتك معاليك التى اشتهرت
وهذه الناس من ترك ومن عرب

والبناء القديم ركيك مضطرب ولا سيما ما كان منه فى الشطر الاول فالقاصى والتباين ثم الطوائف في الشطر الثاني مفردات قلقة حشرت من غير انسجام أو توافق ولكن هل نهض البناء الجديد بالبيت الى سمت ارفع من الاول ؟ قد يكون ذلك لولا عبارة : (وهذه الناس . .) :

١٠ـ كبرت بالنفس والأفعال شاهدة
لا بالمناصب والأموال والرتب

ثم غير في الديوان كلمة (الأموال) فجاءت مكانها كلمة (الالقاب) وهذا التبديل ينسجم مع المعنى فقد نفى عن صاحبه ان يكون غنيا والغنى في الدولة العثمانية كثيرا ما يكون بسبب الوظيفة التي كانت اقوى وسيلة من وسائل الإثراء لدى معظم رجال الحكم : وان كانت القديمة قد تفسر بأنها ليست من الوسائل التي ترفع قدر المرثى اذا كانت قد رفعت من قدر غيره .

الخاتمة

وبعد فقد تتبعنا شعر الزهاوي في الكلم المنظوم وتقصينا ما أثبته من هذا الشعر في مجموعاته الأخرى ووازنا بين النصوص واستخرجنا منها كل نص حدث فيه التغيير والتبديل ثم درسنا كل نص على انفراد مستقصين كل مفردة تغيرت وكل عبارة تبدلت وكل شطر - أو بيت - تحول من شكل الى آخر وعقبنا على كل مظهر من تلك المظاهر بما تفرضه علينا اللغة العربية في أوضاعها المعروفة من فصاحة ودلالة ومن نحو وصرف ، وبما نتحسسه من أساليب بيانية تميز بين الاصالة والتكلف ، وما تمليه علينا القناعة بالصحة أو الخطأ ، كما أشرنا الى ما تحتمله الظروف السياسية والاجتماعية من تفسير لبعض تلك المظاهر .

ونحن - إذ أخذنا بمبدأ الموازنة بين النصوص في دواوين الزهاوي نفسها - لم نكد نهمل شيئا مما احتواه الكلم المنظوم ثم أثبت كله أو بعضه في الديوان واللباب ما عدا قصيدة واحدة عنوانها : (ولاء الإنكليز(١)) لم نتعرض لها بشيء في صلب الدراسة هذه لأن الزهاوي أغفل ذكرها في دواوينه الأخرى - مع ما أغفله من بعض القصائد والمقطوعات - بسبب ما أثارته هذه القصيدة من استياء ولقد لتضمنها مدح الانكليز ، وقد تناولنا جانبا منها بالدراسة في

---

(١) الكلم المنظوم ص ١٤ - ١٦ .

بحث لنا عنوانه: (الزهاوي وعصر السلطان عبد الحميد(٢)) وكان الزهاوي قد نظمها بمناسبة (حرب البوير(٣)) التي وقعت في أخريات القرن التاسع عشر . وحين احتل الانكليز بغداد في الحرب العالمية الأولى وأصدروا جريدة (العرب) بلغة عربية وسياسة انكليزية وانضم الزهاوى اليها أعيد نشر الكثير من هذه القصيدة(٤) وليس بين نصها في الكلم المنظوم وبينه في الجريدة أى فرق سوى ثلاث مفردات وقع فيها التبديل وهي كلمة (البعض) في قوله:

تبصر أيها العربي واترك ولاء البعض من قوم لئام

فقد جاءت مكانها كلمة (الترك) . والثانية : (الأوغاد) في قوله :

وأنت تسومك الأوغاد خسفا وتسلب من حقوقك باهتضام

فحلت محلها كلمة (الاتراك) . والثالثة (الباغين) في قوله :

فإن تك غلظة الباغين داء به العربي ينحل في سقام

فاستبدلت بها كلمة (التوران) يريد بها النزعة الطورانية . ومن الواضح ان سبب التغيير في هذه المفردات سياسي تقتضيه الظروف آنذاك .

وإنما أشرنا الى هذه القصيدة هنا لندفع ما قد يقال من إهمالها وفيها ما يخضع لبحثنا هذا . واذا كنا قد انهينا هذه الدراسة بما نستطيع من جهد فان غايتنا ان نضيف شيئا جديدا الى البحوث والدراسات التي تناولت شعر الزهاوي في اكثر من جانب ، ولعلنا بهذه الدراسة قد كشفنا عن كثير من

---

(٢) انظر مجلة : رسالة الاسلام ـ العدد ٧ ـ ٨ س ٤ ـ ١٩٧٠ بغداد .

(٣) رسائل الزهاوي ـ مجلة الكاتب المصري ـ العدد ١٥ م ٤ ـ ١٩٤٦ م القاهرة .

(٤) انظر جريدة (العرب) العدد ١٥ م ٢ س ٢ ـ ١٨ كانون الثاني ١٩١٨ م بغداد .

مظاهر اللغة عند الزهاوي ومقدار حصيلته منها ، ومدى قدرته على التصرف في المفردة والعبارة وقابليته في التنسيق والبناء والتركيب ، واهتمامه بالتجانس بين الصورة والاطار . وقد لاحظنا في هذه الدراسة ان الزهاوي لم يكن ذا أصالة وطبع او قدرة على اختيار المناسب فى كل موضع غير فيه او بدل فاذا اصاب في موضع فقد أخطأ الهدف في مواضع ، وهو في كل ذلك انما يرسم بناء غير متماسك الاجزاء ويستعين بمفردات لا تستقر على وضع واحد فقد تأخذ المفردة الجديدة مكانها لتبقى منسجمة او غير منسجمة ، وقد تنهزم لتعود الاولى كما كانت . ومنشأ هذا الاضطراب قلة الذخيرة التي يستلف منها حين يمارس عملية النظم ، وضعف المادة التي يعتمد عليها في البناء ، واهتزاز الرؤية البيانية في تنسيق العبارة وتزاوجها مع الفكرة . يضاف الى ذلك عامل السرعة عند الزهاوي وهو عامل مهـم في ضعف الصورة واضطرابها فإنه يحول دون التمييز والاختيار ، وقد كان الزهاوي - كما عرف عنه - ينظـم بسرعة ويسجل خواطره حين تواتيه بأي لفظ ويرسم صوره كيفما كان الرسم لذلك جاء معظم شـعـره في البواكير وما بعدها مضطربا تشيع فيه الركة وتتراكم فيه العبارات والتراكيب الضعيفة والمفردات المبتذلة في سـياق غير متجانس وبناء لا تناسق فيه ، ذلك أنه فوجىء بعصر جديـد وموضوعات جديدة تحتاج الى ذخيرة غير قليلة من اللغة في مفرداتها وتراكيبها الصافية السليمة التى تنسجم مع تلك الموضوعات وتلائم بين صورها ومعانيها ، ولم يكن الزهاوي آنذاك على قدر كاف من الثقافة اللغوية التي تتيح له التصرف كما يريد فن الشعر فقد اراد ان يسـهم فى الحركات الفكرية والسياسـية والاجتماعية وهي حركات خطيرة تحتاج الى قوة وقدرة ولا سيما ما كان أدبا وتعبيرا ولكنه عجز - وهو يمارس هذه التجربة الخطيرة - عن ان يحلق بجناحي الشاعر الموهوب . فإذا كان فيما اختار من موضوعات وفيما عالج

من مشكلات سياسية واجتماعية قد راكب تطور الفكر فإنه لم يستطع الملاءمة بين تلك الموضوعات وبين الشكل المعبر عنها ، ذلك الشكل التي يتمثل في نقاء المفردة وصفاء العبارة وفي الموسيقى التي تنساب برتابة وتساوق :

تلك جوانب من اللغـــة والفن والاداء تناولنا على طرف من مقاييسها شعر الزهاوي في ناحية مهمة من نواحيه ولن تحول مآخذنا عليه او تخلّفه في الكثير من تلك الجوانب دون الاعتراف بكونه رائد فكر وداعية عـــلم وتطور .

مصادر البحث

نثبت هنا من المصادر والمراجع ما ورد له ذكر في هوامش البحث .

١ - أحاديث الرصافي - نسختي المخطوطة .

٢ - الأدب العصري - تأليف الاستاذ رفائيل بطي - المطبعة السلفية ١٩٢٣ م القاهرة .

٣ - الأسس النفسية للابداع الفني - للدكتور مصطفى سويف - ط ٢ دار المعارف بمصر ١٩٥٩ م .

٤ - الأوشال - للزهاوي - مطبعة بغداد ١٩٣٤ م بغداد .

٥ - حاشية الخضري على شرح ابن عقيل - مطبعة دار إحياء الكتب العربية - القاهرة . ب ت .

٦ - حاشية الصبان على شرح الأشموني - دار إحياء الكتب العربية - بالقاهرة . ب ت .

٧ - حلبة الأدب - لمحمد مهدي الجواهري - مطبعة دار السلام ١٣٤١ هـ بغداد .

٨ - خزانة الأدب - لابن حجة الحموي - مطبعة بولاق ١٢٩١ هـ القاهرة .

٩ - دلائل الاعجاز - لعبد القاهر الجرجاني - ط ٢ المطبعة العربية بالقاهرة . ب ت .

١٠ - ديوان أبي تمام - مطبعة حجازي - ١٩٤٢ م القاهرة ،

١١ - ديوان أبي الطيب المتنبي بشرح أبي البقاء العكبري ط ٢ مطبعة عيسى البابي الحلبي ١٩٥٦ م القاهرة .

١٢ - ديوان امرىء القيس - دار صادر - بيروت ب ت .

١٣- ديوان الرصافي - مطبعة دار المعرض - ١٩٣١ م بيروت .
١٤- ديوان الزهاوي - المطبعة العربية - ١٩٢٤ القاهرة .
١٥- ديوان الشبيبي - مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٤٠ م القاهرة .
١٦- ديوان الهذليين - الدار القومية للطباعة والنشر ١٩٦٥ م القاهرة .
١٧- رباعيات الزهاوي - مطبعة القاموس العام ١٩٢٤ م بيروت .
١٨- سحر الشعر -تأليف رفائيل بطي- المطبعة الرحمانية بمصر سنة ١٩٢٢م القاهرة .
١٩- شرح ألفية ابن مالك لابن الناظم -المطبعة العلوية ١٣٤٢ هـ النجف؛
٢٠- شرح المفصل لابن يعيش -ادارة الطباعة المنيرية بالقاهرة .ب ت؛
٢١- الطراز الأنفس - (ديوان الأخرس البغدادي) مطبعة الشركة المرتبية ١٣٠٤ هـ استانبول ؛
٢٢- العرف الطيب في شـرح ديوان أبي الطيب - لليازجي المطبعة الأدبية ١٨٨٧ م بيروت ؛
٢٣- غنية الطالب ومنية الراغب لأحمد فارس الشدياق ط١ - مطبعة الجوائب ١٢٨٨ هـ استانبول .
٢٤- القرآن الكريم (سورة يس) ؛
٢٥- قل ولا تقل - للدكتور مصطفى جواد - مطبعة أسعد ١٩٧٠ م بغداد ؛
٢٦- الكتاب - لسيبويه - نسخة الاوفسيت على الطبعة الاولى مطبعة بولاق ١٣١٦ هـ القاهرة ؛
٢٧- الكلم المنظوم - للزهاوي المطبعة الاهلية - ١٣٢٧ هـ بيروت .
٢٨- اللباب - للزهاوي - مطبعة الفرات ١٩٢٨ م بغداد ؛
٢٩- لغة الشعر بين جيلين للدكتور ابراهيم السامرائي - مطبعة دار الثقافة - بيروت ب ت .

٣٠- لغة الشعر العراقي في القرن التاسع عشـــر - للكاتب البحث - مطبعة الارشاد ١٩٦٤ م بغداد ؛
٣١- مغنى اللبيب لابن هشـــام - حاشية الامير مطبعة مصطفى محمد - القاهرة ؛ ب ت ؛
٣٢- وحى الرسالة - للاستاذ احمد حسن الزيات ج ١ ط ٦ - ١٩٥٧ م مكتبة نهضة مصر - القاهرة .
٣٣- الوســـاطة بين المتنبي وخصومه - للقاضي الجرجاني ط ١ دار إحياء الكتب العربية ١٩٤٥ م القاهرة .
٣٤- وقعة صفين - لنصر بن مزاحم المنقري - تحقيق عبد السلام محمد هارون . ط ٢ - ١٣٨٢ هـ القاهرة .

المجلات والجرائد

٣٥- مجلة الأديب العراقي العدد ٣ س١ - ١٩٦١ م بغداد .
٣٦- مجلة الاصابة للزهاوي - العدد الاول - أيلول ١٩٢٤ بغداد .
٣٧- مجلة (رسالة الاسلام) العدد ٧ - ٨ السنة الرابعة ١٩٧٠ م بغداد :
٣٨- مجلة (الكاتب المصري) العدد ١٥ م ٤ - ١٩٤٦ م القاهرة .
٣٩- مجلة المكتبة العدد ٣٥ - ٣٦ س ٤ - ١٩٦٣ م بغداد .
٤٠- مجلة (المورد الصافي) ج ٢ م ٢ - ١٩١١ م بيروت .
٤١- جريدة (العرب) العدد ٨ س١ - ١٣٢٨ هـ استانبول .
٤٢ جريدة (العرب) العدد ١٥ م ٢ س٢ - ١٨ كانون الثاني ١٩١٨ م بغداد :
٤٣ جريدة (العراق) العدد ٣٤٧ السنة الثانية ١٩٢١ م والعـــدد ١٩٤٣ - ١٧ أيلول ١٩٢٦ م .

فهرس الاعلام

لم نذكر في هذا الفهرس اسم الزهاوي لأنه محور الدراسة ولأن اسمه تكرر كثيرا ، ولم نذكر كذلك الاسماء التي رمز بها في قصائده القصصية لأنها من وضعه وليست أعلاما معينة مثل : سعاد ، وخولة ، ودلبر ، وغيرها ، كذلك لم نذكر اسماء المؤلفين والناشرين والاماكن التي وردت في الهوامش لأنا ذكرناها في ثبت المصادر ، واغفلنا الألقاب التي تحتمل الشركة مثل : السلطان والخليفة العثماني واكتفينا بما ورد في صلب الصفحات من اعلام الناس والاماكن وغيرها .

(أ)

(س)

(ش)

(ص)

(ط)

(ع)

ثبت الموضوعات

(×) ننقل مطالع القصـائد كما جاءت في الكلم المنظوم ولا يعني ذكرها هنا أنها كلها موجودة في دراستنا هذه لأننا لم نذكر منها في صلب البحث إلا ما يجب أو يستحسن ذكره ، أما أرقام الصفحات في الكلم المنظوم فقد ذكرناها في الهوامش إزاء كل قصيدة .

ص

٥٥-٦٢ السادسة (أنت يا مصر ملجأ الأحرار) وهي مخمسة من الخفيف وأولها :

إن سجع الحمام فى الأسحار وهبوب النسيم بعد القطار

٦٣-٦٤ السابعة (المجرة) من مجزوء الكامل وأولها :

ماذا برقراق السحائب ضمن المجرة من كواكب

٦٥-٧٣ الثامنة (أرملة الجندي) من الطويل وأولها :

ألا انما هذا الذي لك أنقل له مثلما أرويه أصل مؤصل

٧٤-٧٨ التاسعة (المستنصرية) من الطويل : وأولها :

وقفت على المستنصرية باكيا ربوعا بها للعلم أمست خواليا

٧٩-٩٠ العاشرة (سليمى ودجلة) من الطويل : واولها :

امير على جند ببغداد يذكر يقال له التركى ذو الطيش (جعفر)

٩١-٩٤ الحادية عشرة (الظلم يقتلنا والعدل يحيينا) من البسيط ، واولها :

تأن في الظلم تخفيفا وتهوينا فالظلم يقتلنا والعدل يحيينا

٩٥-١٠٣ الثانية عشرة (لمى فزان) من الطويل ، واولها :

شتاء وريح فى دجى الليل زعزع تكاد بها جدر المنازل تقلع

١٠٤-١١٢ الثالثة عشرة (مقتل ليلى والربيع) من الكامل ، واولها :

إن الربيع لسيد الأزمان فيه تتم لذاذة الانسان

١١٣-١١٥ الرابعة عشرة (رثاء شوكت بك) من الطويل ، واولها :

كتاب رثاء يحمل البث من قلبي الى قبر ميت فى طرابلس الغرب

١١٦-١١٩ الخامسة عشرة (رثاء صفا بك) من الكامل ، واولها :

لي عند ذكرك ياصفا إطراق ودموع حزن في التراب تراق

ص

١٢٠-١٢٣ السادسة عشرة (الموت) من الخفيف ، واولها :

يطفىء الموت ماتضيء الحياة   ووراء انطفــائه ظلمــات

١٢٤ السابعة عشرة (ابيات بلا عنوان) من مخلع البسيط ، واولها :

يا راصد الخلس الجواري   ماجد في هذه الدراري

١٢٥-١٢٦ الثامنة عشرة (سياحة العقل) من مجزوء الكامل ، وأولها :

لا تقبل الاجرام عــدا   كلا ولا الابعــاد حــدا

١٢٧-١٣٠ التاسعة عشرة (بكى على نفسه وناحا) من مخلع البسيط وأولها :

لما هوى في الهوى وطاحا   وقص منه النوى جناحــا

١٣١ المتممة للعشرين (نظرت اليها) من الطويل ، وأولها :

نظرت إليها وهي بيضاء تبهج   بخديه مــاء الصبا يتموج

١٣٢-١٣٣ الحادية والعشرون (أين مني ما اريد) من الوافر ، وأولها :

أريد لو استتب لي الخلود   ولكن ابن مني ما اريد

١٣٤-١٣٥ الثانية والعشرون (الشمس في الطلوع) من الخفيف ، وأولها :

طلعت في جلالــة ووقار   من وراء التلول شمس النهار

١٣٦-١٣٨ الثالثة والعشرون (الشمس في المغيب) من الخفيف ، وأولها :

أترى افزع الغزالة ذيب   فهي تسعى شريدة وتغيب

١٣٩-١٤٠ الرابعة والعشرون (كأنك لا تعلم) من المتقارب ، وأولها :

لمــاذا تحركت الانجــم   كأنــك مثــلي لا تعلــم

١٤١-١٤٢ الخامسة والعشرون (لعل له عذرا) من الطويل ، وأولها :

أتى غير مختار وفارق مضطرا   ولم يك لما عاش في نفسه حرا

١٤٣ السادسة والعشرون (يا ذكاء) من الطويل ، واولها :

لكل طلوع يا ذكاء افول   فنورك هذا في المساء يزول

ص

١٤٤-١٤٧ السابعة والعشرون (سعاد بعد زوجها) من الكامل ، وأولها :

كل الذين عن المواطن غابوا   يا أم إلا (أحمد) قد آبوا

١٤٨-١٤٩ الثامنة والعشرون (تحت التراب ربيع) من الكامل وأولها :

لهفي على زهر الربيع يضوع   حينا ويسقط بعده فيضيع

١٥٠-١٥٤ التاسعة والعشرون (بين دجلة والفرات) من الخفيف ، وأولها :

بين أحناء دجلة والفرات   حيي البؤس فوق أرض موات

١٥٥-١٥٧ المتممة للثلاثين (يا جهل) من البسيط ، وأولها :

ياجهل انت برغم العلم والادب   ممتع بعلــو الجـاه والرتب

١٥٨ الحادية والثلاثون (القبر آخر منزل) من الكامل ، وأولها :

قيلت من حرج الحياة بأدهم   وطرحت في درج القضاء المبرم

١٥٩ الثانية والثلاثون (لله أتعابي) من الطويل ، وأولها :

سعيت ولكن ما وصلت الى المدى   فلله أتعابي التي ذهبت سدى

١٦٠-١٦١ الثالثة والثلاثون (أو رائي أم أمامي) من الخفيف ، وأولها :

لست أدري كخابط في ظلام   أو رائي سعادتي أم أمامي

١٦٢-١٦٦ الرابعة والثلاثون (الغريب المحتضر) من الطويل ، وأولها :

أموت بعيدا عن دياري وعن أهلي   فمن يا ترى يبكي حوالي من اجلي

١٦٧-١٦٩ الخامسة والثلاثون (لو يعلم القبر) من الطويل ، وأولها :

تضمن منك القبر لو يعلم القبر   جليلا بكاه الناس والعلم والشعر

١٧٠-١٧٣ السادسة والثلاثون (الشعر المرسل) من الطويل ، وأولها :

لموت الفتى خير له من معيشة   يكون بها عبأ ثقيلا على الناس

١٧٤-١٧٦ السابعة والثلاثون (كأن الشرق ليس له فم) من الطويل ، وأولها :

كفى الغرب فخرا انه متقدم   وان له مــالا به يتنعم

ملاحظة :

تصحح العبارة في ص ٤٨ س ٢ إلى ما يأتي : ولا فرق بينهما . وما عدا هذه العبارة هين بسيط .

رقم الايداع في المكتبة الوطنية ببغداد ٢٤ سنة ٩٧١

مطبعة الايمان ٣/١٠٠٠/٩٧١

UNSTABILITY

IN

AL-ZAHAWI'S POETICAL WORDING

BY

IBRAHIM AL-WA'ILI

Assistant Professor

College of Arts

University of Baghdad

BAGHDAD - IRAQ

1971

Al - Iman Press - Baghdad

سعر النسخة ٣٠٠ فلس